الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أحمد دراية-ادرار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإنسانية

الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية في بلاد الشام خلال القرن 10هـ-16م

حركة ظاهر العمر 1733-1775م أنموذجاً

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- خديجة مؤدن
- مبروكة دباحي

إشراف الأستاذ:

عبد الكريم بلبالي

السنة الجامعية : 1435-1436هـ
2014- 2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل الأهل والأقارب.

إلى الأستاذ المشرف.

إلى كل طالب علم تصفح مذكرتنا.

إلى من ساهم فيه من قريب أو بعيد.

خديجة مبروكة

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

عملا بقوله تبارك وتعالى:﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِين﴾ سورة النمل الآية 19

وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم :"لاَ يشْكرُ اللهَ منْ لَا يشكر النّاسْ ".وقال أيضا :"...من صنَع إلَيْكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه ".

فأننا نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذنا "بلبالي عبد الكريم " الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث ولمساعدته لنا، ولتوجيهه ونصحه وحرصه الشديد لانجاز بحثنا هذا .

الى كل من مد لنا يد العون او ساهم معنا ولوبكلمة توجيهية،اونصيحة، اودعاء

كما لا ننسى أن نتوجه بالشكر وفائق التقدير إلى جميع القائمين في قسم العلوم الانسانية من أساتذة وإطارات وعمال، لما وفقهم الله من تسخير أنفسهم لخدمة العلم والطلبة

وفي الأخير نتمنى من اللّه أن يرشدنا

إلى سواء السبيل ويحقق هدفنا النبيل ،

خديجة مبروكة

مقدمة

إن الدارس لتاريخ العرب في العصر الحديث يجده حافلاً بالأحداث والوقائع التي ميزت هذه الفترة عن الفترات التي سبقتها، هذه الأحداث كانت أكثر تداخلاً وتشابكاً وترابطاً فيما بينها، مما جعل الدراسات لهذه البقعة الجغرافية في هذه الفترة صعبة ومعقدة إلى حد ما.

وبمجرد التعرض لتاريخ العالم العربي الإسلامي يتبادر إلى الأذهان التواجد العثماني في المنطقة، حيث يرجع المؤرخون بداية التأريخ الحديث لهذه الفترة في العالم العربي بدخول العثمانيين فاتحين للأقطار العربية أوائل القرن السادس عشر بدءاً بالعراق عام 1514م، ثم الشام عام 1516م، فمصر والحجاز 1517م، الجزائر 1518م، طرابلس الغرب 1551م، وتونس عام 1574، وتنتهي بنهاية الحرب العالمية الأولى 1919م، ليبدأ التأريخ للفترة المعاصرة.

وينقسم الوطن العربي إلى شقين، أحدهما في آسيا والآخر في إفريقيا، فالجناح ا لاسيوي يضم ما عرف بمنطقة المربع العربي الذي يضم المملكة العربية السعودية، الجمهورية اليمنية، الكويت، قطر، الإمارات العربية المتحدة، البحرين، سلطنة عمان. اما الهلال الخصيب، أما الهلال الخصيب فهو عبارة عن قوس، وهلال يبدأ طرفه الشرقي في حوض نهري دجلة والفرات – أي العراق . النصف الشرقي من الهلال، أما الغربي يضم سوريا ولبنان، ثم ينحرف إلى الجنوب ليشمل فلسطين والأردن، وهذا النصف الغربي منه ظل لعدة قرون يعرف باسم سوريا أو بلاد الشام إلى أن تفككت وحدته بعد الحرب العالمية الأولى في ظل ما يعرف بالمسألة الشرقية.

ويعتبر الشق الغربي من الهلال الخصيب أو بلاد الشام هـ و موضوع الدراسة في بحثنا هذا والمتضمن مرحلة من مراحل الحكم العثماني.

تمكنت الدولة العثمانية من السي .طرة على أغلب الأقاليم العربية منذ عهد سليم الأول (1512_ 1520م)، الذي تمكن من توجيه توسعات الدولة العثمانية من الغرب الأوربي إلى الشرق الإسلامي، الذي كان أحد العوالم الجغرافية التي تركبت منها الدولة إضافة إلى الأناضول وطن الأتراك، و الروملي والبلقان وصربيا واليونان في شرقي أوربا

دامت سيطرة الدولة العثمانية على هذه المنطقة حوالي أربعة قرون(1516_ 1916م)، وهي حقبة زمنية طويلة تنوعت فيها العلاقة بين الحاكم (السلطان العثماني) والمحكوم (الشعوب العربية) بتنوع العهود والأساليب والحكام والأحكام والقوانين والتعليمات...، وغيرها من عناصر نظام الحكم العثماني في المنطقة، لذلك يجد الدارس أن العلاقات تتأرجح بين الطيبة والصراع.

وبما أن العرب كانوا يشكلون نسبة سكانية عالية في الايالات العثمانية حيث كانوا شعوباً له عراقته ا وأصالتها وثقلها الحضاري في التاريخ فقد استفاد منهم العثمانيين وتأثروا بهم كما اثروا فيهم ـ أي في العرب ـ بعد مجيئهم إلى المنطقة.

لقد عالجنا في بحثنا هذا بشيء من التحليل والتعليل جانبا من جوانب الحكم العثماني لبلاد الشام ألا وهو تلك الحركات أو المحاولات الاستقلالية للانفصال عن الدولة العثمانية مركز الخلافة، من طرف بعض

الأسر والشخصيات الراغبة في تكـــوين كيان مستقل بها، غير خاضع أو تابـــع إداريا للباب العـالي في كل مـن لبنان، فلسطين وسـوريا بداية من القرن 16 إلى القرن 19. وقد خصصنا جانباً من بحثنا حول قائد من قادة هذه الحركات ألا وهو ظاهر العمر الزيداني، زعيم إحدى الحركات الانفصالية بفلسطين.

إشكالية البحث:

إن موضوع الحركات الانفصالية ضد الدولة العثمانية في بلاد الشام هو على جانب كبير من الأهمية، اذ يطرح إشكالية مركزية تهدف إلى توضيح طبيعة الحركات الانفصالية، والأساليب التي مكنتها من الصمود في وجه السياسة العثمانية للقضاء عليها.

ولتوضيح الإشكالية المطروحة أكثر يمكن طرح التساؤلات الآتية:

. لماذا وجه السلطان العثماني سليم الأول توسعاته وأنظاره إلى بلاد الشام؟

. ما هي طبيعة العلاقات المملوكية العثمانية ؟

. بماذا تميز الحكم العثماني لبلاد الشام ؟

. ما هي انعكاسات السياسة العثمانية في بلاد الشام ؟ وما هو السبب أو الهدف من وراء توجه هذه الزعامات إلى محاولة الانفصال عن الدولة العثمانية ؟ وما هي المؤهلات التي ساعدتهم في ذلك ؟

. من هو ظاهر العمر الزيداني ؟ وما هو الدافع وراء حركته الانفصالية ؟

. إلى أي مدى وصل الزيادنة بحدود دولتهم ؟

. ما هي طبيعة العلاقة بينه وبين الباب العالي ؟ علي بك الكبير في مصر ؟ والدول الأوروبية ؟

. كيف كانت نهاية ظاهر العمر ؟

الدوافع:

وكان وراء اختيارنا لهذا الموضوع عدة أسباب أهمها:

أولاً- عدم دراستنا خلال المراحل السابقة لهذا الموضوع لا بشكل سطحي ولا مفصل.

ثانياً- رغبتنا الملحة في الدراسة والتخصص في موضوع من المشرق العربي في العصر الحديث، وجذب أنظارنا موضوع الحركات الانفصالية بشكل كبير.

ثالثاً- الرغبة في معرفة رد فعل العنصر العربي تجاه سياسة الأتراك ونظامهم في بلاد الشام.

رابعاً- الفضول العلمي ولعله أقوى وأبلغ سبب حول اختيارنا لهذا الموضوع وهو تبيان خطط الدولة العثمانية ومرادها من التوجه للتوسع في منطقة بلاد الشام، وانعكاساتها ونفض الغبار إن أمكننا القول على موضوع الحركات الانفصالية والشخصيات والأهداف التي كانت من وراء قيامها، خاصة أن المؤرخين ركزوا على هذا الموضوع في الشق الغربي أي الأوربي مثل البلقان وغيرها، بالرغم من أن محاولات الاستقلال في بلاد الشام هي فاتحة الحركات الانفصالية ضد الدولة العثمانية في جميع الأقاليم التي حكمتها.

صعوبات الدراسة :

إن أي دراسة لأي موضوع مهما اختلف مجاله لا تخلو من صعوبات ومعوقات تعرقل سيرها، ولعل عنصر الزمن المحدد لانجاز هذا العمل هو من اكبر الصعوبات كون الموضوع يحتاج إلى دراسة وبحث معمقين.

. قلة المراجع التي تتناول موضوعنا هذا، وعدم تحصلنا على دراسات ومصادر متخصصة في موضوع رغم المحاولات الشديدة والملحة مما يجعله فقيرا من الناحية العلمية.

. اتساع البقعة الجغرافية وطول المدة الزمنية مما اضطرنا إلى دراسة كل بقعة على حد ى، إضافة إلى تعدد وجهات النظر حول الأزمنة التاريخية والتي تختلف من كاتب لآخر، هذا وضعنا أمام مشكلة عويصة نتمنى أن نكون قد اجتزناها خلال دراستنا هذه.

المناهج المتبعة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الذي وجدناه حسب وجهة نظرنا ملائما لطبيعة بحثنا هذا ألا وهو المنهج التاريخي الوصفي، الذي يساعد على وصف الأحداث التاريخية والتعرف على طبيعة الحركات الانفصالية.

المنهج التاريخي التحليلي، الذي ساعدنا في تحليل الأحداث التاريخية لموضوع البحث.

الخطة المتبعة:

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة اعتمدنا على خطة منهجية قوامها ثلاث ة فصول كل فصل يحتوي من مبحثين إلى ثلاث مباحث مستهلين هيكل بحثنا هذا بمقدمة وأنهيناه بخاتمة ومجموعة من الملاحق. تناولنا في الفصل الأول: التواجد العثماني في بلاد الشام ويندرج تحت هذا الفصل مبحثان: الأول بعنوان دخول العثمانيين في بلاد الشام ومن هذا المنطلق كان علينا التطرق إلى الصراع المملوكي العثماني في بلادالشام، ثم معركة مرج دابق 1516م والتوسع العثمانيين إلى بلاد الشام،كما عرضنا وصف للسياسة العثمانية في بلاد الشام. أما المبحث الثاني انعكاسات السياسة العثمانية على الأوضاع في بلاد الشام ، فتطرقنا إلى ظهور الحركات الانفصالية وأسبابها،و الأسرة المعنية، والآسرة الشهابية، ثم أسرة آل العظم بسوريا،وأحمد الجزار بفلسطين. إما في الفصل الثاني فكان عنوانه بحركة ظاهر العمر نموذجا وتطرقنا في المبحث الأول نبذة تاريخية عن ظاهر العمر ، ويحتوي على التعريف بظاهر العمر، ونشأته، والثاني توسعات الحركة، ويحتوي على بداية توسعاته من طبرية، واستيلائه على عكا.

كما تطرقنا في الفصل الثالث إلى علاقات ظاهر العمر الداخلية والخارجية ونهايته وقسمناه إلى مبحثين: الأول عالجنا فيه علاقاته بالدول ومختلف القوى، علاقته بالدولة العثمانية، وبعلي بك، وبعض الدول الآوربية، والثاني قيمنا فيه حركته الانفصالية ونهايته. وخاتمة،ملاحق، وفهارس.

أهم المصادر والمراجع:

لقد ساعدنا في إنجازنا لهذا البحث مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: مصدر ل عبود الصباغ، الروض الظاهر في تاريخ ظاهر، هذا الكتاب تخصص في حركة ظاهر العمر، وآخر بعنوان خطط الشام لصاحبه محمد كرد علي. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية. هذه المجموعة من المصادر تناولت الموضوع المدروس بنوع من التفصيل.

ومجموعة من المراجع أهمها: كتاب العالم العربي في التاريخ الإسلامي لصاحبه إسماعيل أحمد ياغي . مرجع لرأفت الشيخ غنيمي، تاريخ العرب الحديث. جميل بيضون وآخرون، تاريخ العرب الحديث، محمد الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي . تيسير جبارة، تاريخ فلسطين ما لاحظناه حول هذه المراجع هو أنها انتهجت نفس الخطة لدراسة هذا الموضوع متعرضة لدخول العثماني بلاد الشام والصراع مع المماليك بالتفصيل إلا أن ما يؤخذ عليها إهمالها لانعكاسات السياسة العثمانية وهي الحركات الانفصالية فبعضها تطرق لها بشكل موجز وبعضها أهملها تماما.

الفصل الأول: التواجد العثماني في بلاد الشام.

.

المبحث الأول: دخول العثمانيين إلى بلاد الشام.

المبحث الثاني: انعكاسات السياسة العثمانية على بلاد الشام.

الفصل الأول: التواجد العثماني في بلاد الشام.

منذ اعتلائه عرش الدولة العثمانية أحدث السلطان سليم الأول تغييرا جذريا في سياسة الدولة التوسعية، حيث توجه نحو الشرق الإسلامي بدلا من الغرب الأوربي لأسباب عدة، وكانت وجهته نحو بلاد الشام.

المبحث الأول: دخول العثمانيين بلاد الشام.

أولا: الصراع المملوكي العثماني على الشام .

تميزت العلاقات المملـوكية العثمانية بين الود الذي وصل إلى ح ـد تبادل الهدايا والتهاني بالانتصارات العسكرية، وبين النفور والتنازع الذي وصل إلى حد الصدام العسكري. وكمثال على حسن العلاقات هو تبادل التهاني في عهد السلطان محمد الفاتح(1451-1481م) والاحتفال بفتح القسطنطينية 1453م كذلك الخطر البرتغالي الذي هدد الطرفين حيث أستنجد المماليك بالعثمانيين بعد انتصار الأسطول البرتغالي على المماليك في موقعة **ديو**" DIEU" البحرية سنة 1509م. لهذا سارع العثمانيين إلى إرسال مساعدات تتمثل في سفن حربية محملة بمدافع وأخشاب إلا أن هذه المساعدات لم تصل المماليك بسبب استيلاء فرسان القديس يوحنا عليها وقد استطاع العثمانيون سنة 1510م إيصال حوالي 40 مدفع و 40 قنطار من البارود إلى القاهرة، كما أرسلوا سنة 1512م عدد من ضباط البحرية العثمانية إلى مصر للإشراف على الأسطول المصري، ويرجع الموقف العثماني الإيجابي إلى حرصهم الشديد على حماية مؤخرتهم في البلاد العربية من خطر البرتغاليين الذي بدأ يهدد خطرهم وزعامتهم المنتظر للعالم الإسلامي [1] .

إضافة إلى ذلك الخطر الصفوي * فقد أثار تبني الص فويين للمذهب الشيعي بصورة رسمية قلق الدولتين زيادة على محاولة الشاه إسماعيل التحالف مع الأوروبيين ضد الدولة العثمانية بقيادة سليم الأول.[2]

هذا المنحى الذي سلكه الطرفان يمكن إرجاعه إلى المصالح المتضاربة لكليهما فكل وأهدافه التي يسعى لتحقيقها في المنطقة ولكي يتسنى لهما ذلك توجه كل منه ما إلى تفادي المواجهة مع الآخر ، لكن لسوء الحظ كانت هذه العلاقات الحسنة مسألة ظرفية فسرعان ما انقلبت الأوضاع التي كان لها بالطبع أسبابها المتعددة. [3]

---

[1] محمد الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288- 1916م، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، د م، د س،ص58،

* هم أتباع صفي الدين الأردبيلي، احد زعماء الشيعة الاثناعشرية في اردبيل، حيث تمكن من جمع بعض العشائر التركمانية، الحديثة العهد بالإسلام، كثر عددهم بعد إن ادعى نسبه إلى آل البيت تمكن من تشكيل جماعة وقام بنشر دعوته هذه الجماعة أرتقت لأن تكون بنفسها دولة لها كيانها الخاص في عهد الشاه إسماعيل حوالي 1500م وشملت منطقة التركمان والأناضول، واتخذ المذهب الشيعي كمذهب رسمي للدولة الصفوية. انظر، محمد عبد اللطيف هريري، الحروب الفارسية الإيرانية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة،1987م، ص ص43، 44.

[2] محمد الغالي غربي، المرجع السابق، ص58.

[3] عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط 1، د د، د م، د س، ص488.

ولعل تسارع الأحداث في منطقة الشرق الإسلامي عجل في اصطدام القوتين السنيتين الإسلاميتين ، ويرى بعض المؤرخين أنها امتداد الصراع الصفوي المملوكي وهذا يعني أن السلطان سليم الأول كان مدفوعا نحو فتح بلاد الشام لأسباب منها :

1- موقف المماليك العدائي من الدولة العثمانية ، حيث قام السلطان قانصوه ال غوري *(1501-1516م) سلطان الدولة المملوكة بإيواء بعض الأمراء العثمانيين الفارين من السلطان سليم الأول** وكان في مقدمتهم الأمير أحمد أخ السلطان العثماني ، وأرادت السلطات المملوكية أن تتخذ من وجود هؤلاء الأمراء لديها أداة لإثارة المزيد من المتاعب للسلطان سليم.

2- الخلاف على الحدود بين الدولتين في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى، وبين شمال الشام حيث تناثرت في هذه المنطقة إمارات وقبائل تأرجحت في ولائها بين الدولة العثمانية ودولة المماليك، وكان هذا التأرجح مبعث اضطراب في العلاقات بين الدولتين ومصدر نزاع مستمر وأراد السلطان سليم أن يحسم مسألة الحدود بالسيطرة التامة عليها[1].

3- تفشي ظلم الدولة المملوكية بين الناس ورغبة أهل الشام في التخلص من ممارساتها الاضطهادية والانضمام إلى الدولة العثمانية ، فقد اجتمع العلماء ، القضاة، الأعيان، الأشراف وأهل الرأي مع القبائل ، وتباحثوا في حالهم ثم قرروا أن يتولى قضاة المذاهب الأربعة والأشراف كتابة عريضة نيابة عن الجميع يخاطبون فيها السلطان العثماني سليم الأول يقولون له فيها :"إن الشعب السوري ضاق بالظلم المملوكي وإن حكام المماليك يخالفون الشرع الشريف وأن السلطان إذ قرر الزحف على السلطنة المملوكية فإن الشعب سيرحب ، وتعبيرا عن فرحته سيخرج بجميع فئاته وطوائفهإلى عين تاب البعيدة عن حلب ولن يكتفوا بالترحيب به في بلادهم فقط، ويطلبون من سليم الأول أن يرسل لهم رسول من عنده ، وزيرا ثقة يقابلهم سرا ويعطيهم الأمان حتى تطمأن قلوب الناس ..." [2]

إضافة إلى هذه الأسباب هناك أسباب أخرى أدت إلى الحرب بين الدولتين منها:

. إدعاء السلطان سليم قيام دولة المماليك باعتراض طريق الإمدادات والتمويل الموجهة إلى القوات العثمانية في بلاد فلوس، واستيلاء الغوري على الهدايا المرسلة من طرف أمراء الهند الموجهة إلى سليم الأول.

---

* هو الملك الأشرف سيف الدين قانصوه الظاهري الاشرفي، أصله من المماليك الظاهر خشقدم ثم انتقل إلى أشراف قائد باي، بويع له بالملك سنة 906هـ، ومن أثاره بنى سور مدينة جدة، ودائرة الحجر الأسود، أنظر، فريد محمد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ط 1، دار النفائس، بيروت 1981، ص192.

** أحد ابناء بايزيد الثاني حكم بين (1512- 1520م) تمكن من خلع والده عن الحكم وتنصيب نفسه، تميز عهده بالدموية، في عهده توجهت التوسعات العثمانية من الغرب الاوربي نحو المشرق الاسلامي، من اشهر معاركه جالديران1514م ضد الصفويين، ومرج دابق والريدانية 1516م ضد المماليك.احمد عبد الرحيمك مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق ،ط1993،2 ص ص76، 85.

[1] عيسى الحسن، المرجع السابق، ص489.

[2] عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 489.

.كذلك شكوى قانصوه الغوري من أن سليم عمل على وقف عملية تصدير الرقيق إلى مصر، وهو أمر خطير بالنسبة للنظام المملوكي وإنهائه ورغم كل هذا فقد كان السلطان سليم ينشد السلم وبذل عدة محاولات لإحلال الصلح والوئام لكنه لم يفلح في ذلك رغم إرساله عدة رسائل.[1]

ثانيا: مرج دابق 1516م والتوسع العثماني في بلاد الشام.

بعد استيلاء السلطان سليم على بلاد كردستان فكر في فتح بلاد العرب لعوامل عدة ، ويعتبر الصراع الصفوي العثماني هو الذي مهد لسليم الأول استيلائه على الأراضي المملوكية لأسباب إستراتيجية، إذ أن سيطرته على موانئ كليكية من شأنها أن توفر له طريق بحريا يسهل عليه تمويل حملاته الموجهة ضد الصفويون بطريقة أسهل مما كان عليه الوضع سابقا، وما إن تقدم الجيش العثماني عبر الأناضول في ربيع 1516م حتى أخذ مماليك مصر يتسألون عن وجهته: إن كان متجها نحو أذربيجان لمواجهة الصفويين؟ أو صوب سوريا لمواجهتهم؟[2]

وكان لدى قانصوه ثلاثة خيارات: إما أن يأخذ جانبا ضد الصوفيين، وبذلك رأى أنه يعطي قوة للعثمانيين ويسهل عليهم القضاء على الصفويين، فإذا ما توترت العلاقات بين المماليك والعثمانيين يتوجه الصفويون دون تردد لخوض المعارك ضد المماليك، وإم ـا أن يأخ ـذ جانب الصفويين ضد العثمانيين فعليه بذلك إقناع الشعوب المم-لوكية، وهو أمر صعب لأن في ذلك الوقت كانت العلاقات المملوكية الصفوية سيئة. كما أن مماليك مصر والشام سنيين متعصبين لمذهبهم وبالتالي لا يقبلون التعاون م ـع الشاه الصفوي الشيعي المذه ـب ضد الدولة العثمانية السنية، بالإضافة إلى أن العثمانيون كانوا قد أظهروا غيرة على الإسلام ضد الصفويين في معركة جالديران 1514م ومن الخطر البرتغالي. أما الخيار أو السياسة الأخيرة المطروحة أمام قانصوه في هي التزامه الحياد بين الطرفيين التي فضلها واكتفى بإرسال قوة من المماليك إلى حلب لمراقبة التطورات لحماية أراضي المملكة والإمارات الواقعة تحت نفوذها من الجيش العثماني الزاحف من الأناضول إلى أذربيجان الفارسية ولكن، إرسال هذه القوة التي قامت بمنع الجيش العثماني من المسير عبر طرق تمر بأراضي مملوكية أدى إلى تدهور العلاقات بين الطرفين .[3]

هذه الخطوة التي أقدم عليها الجيش المملوكي كما فسرتها الكتابات التاريخية ناتجة عن اتفاق سري عقد بين شاه الصفويين إسماعيل والمملوكي قانصوه ال غوري وكان السلطان سليم قد علم به.[4] من خلال شبكات تجسسية فالأخبار كانت تصله من خلال عيونه الذين بثهم في معسكر المماليك.[5]

---

[1] هشام سوادي، تاريخ العرب الحديث 1516- 1918م من فتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط 1، دار الفكر، عمان، 2010م، ص31.

[2] أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، د س، ص83.

[3] عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، د م، ص ص70، 74.

[4] انطوان مراد، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم سوريا ،ج 9- 10، د د، بيروت، د س، ص 48.

[5] فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، ط12، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت،2007م، ص 48.

وتنفيذا للاتفاق أقبل قانصوه الغوري على جيش كبير من منطقة حلب في حين كان سليم يراقب الوضع على رأس جيشه عند الحدود الشمالية لسوريا، وطالب قا نصوه بتقديم تفسير لهذه الخطوة التي اتخذها فأجابه انه يريد بها الصلح بين سليم والصفويين [1]، لكن هذه الحلية لم تنطل على السلطان سليم ولما وصل رسول قانصوه أهين من طرف سليم وحلقت لحيته وأرسل على بغل مرفق بإعلان الحرب، أما مرافقوه فأعدموا.[2]

لم يكن الجيش العثماني بحاجة إلى أكثر من معركة لدحر قوات المماليك حيث أشتبك الجيشان في 24 أوت 1515م عند سهل يقال له مرج دابق شمالي حلب كان النصر فيها لسليم الأول، أما المماليك فلم يحققوا ما كانوا يرجونه لتفشي الانقسامات والخلافات بين قيادات المماليك وخيانة كل من خاير بك نائب حلب، وجان بردي الغزالي نائب حماة، وانسحابهما من جش الغوري، فأوقعت المدفعية العثمانية بجيش المماليك فلختل نظامه فلقي الغوري حتفه في هذه المعركة وكان عمره يناهز الثمانيين سنة وبذلك تم النصر للعثمانيين.[3] ويمكن إرجاع أسباب هزيمة المماليك إلى ما يلي:

1ـ تفوق الجيش العثماني وتحصينه بواسطة قلاع متحركة تشكلت من عربات مربوطة بعضها البعض ، وحسن توزيع السلطان سليم لقواته ومدفعيته التي كان العثمانيون يمتلكون أفضل أنواعها وهي النحاسية ، في حين لم يعرف المماليك مثلها كما أن الجيش العثماني برغم من أن جنوده كان ينتمون إلى قوميات مختلفة وطوائف دينية متعددة إلا أنه عرف بانضباطه وتماسكه المعنوي .[4]

2- تفشي الخيانة والانشقاقات في صفوف الجيش المملوكي ، ويظهر ذلك في انضمام بعض القادة للجيش العثماني بعد إغرائهم بتوليتهم على بعض الإيالات منهم خاير بك نائب مدينة حلب وجان بردي الغزالي الذي تولى إيالة دمشق، ويذكر أن الاتصالات فيما بينهم بدأت قبل المعركة وهذا الانشقاق أدى إلى نقص في فعالية الجيش المملوكي وتدهور معنوياته.

3- حرص الدولة العثمانية على الالتزام بالشرع في جميع النواحي واهتمامها البالغ في العدل بين رعاياها، عكس الدولة المملوكية التي انحرفت على التعاليم الإسلامية ومارست الظلم على رعاياها. [5] مما أدى إلى تراجع القاعدة الشعبية للمماليك وقيام الانتفاضات ضدهم في القرى والمدن.[6]

---

[1] – أنطوان مراد، المرجع السابق، ص 48.

[2] – فليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، المرجع السابق، ص 776.

[3] إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث, ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض،1997م، ص 38.

[4] محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،ط 2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2008،ص169.

[5] – عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 491.

[6] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 196.

نذكر هنا أن هذه المعركة فتحت الباب أمام العثمانيين لدخول بلاد الشام ، بعد القضاء على القوات المملوكية ونهب المعسكر وتم الاستيلاء على ما فيه ، وبالتالي قضي تماما على سلطة المماليك في المنطقة وبدأت القوات العثمانية تضم إلى ممتلكاتها بلدة تلوى الأخرى إلى أن ألحقت بلاد الشام كلها.

ففي الثامن والعشرين أوت فتح أهالي حلب المدينة أمام العثمانيين، واستقبل السلطان سليم الأول بحفاوة، وتمت خطبة الجمعة فيها باسم السلطان سليم ، ومكث فيها حوالي ثماني عشر يوما ينظم فيه شؤون المدينة التي كان يقطنها حوالي مائتين ألف نسمة يزاولون النشاط التجاري على نطاق واسع. [1] وعين أحد قادته عليها وهو غورهجاه أحمد باشا واليا وبهذا تكون حلب أول ولاية عربية عثمانية. [2]

واصل العثمانيون تقدمهم نحو دمشق حيث وصل إلى حماة في 20 سبتمبر 1516م، وبعد يومين تقدم إلى حمص [3]، ودخل دون مقاومة واتخذها سنجقاً عهد إدارته إلى اهتمان أوغلي ووضع حامية في حمص وحماة لضمان حمايتها. [4]

وفي أواخر سبتمبر 1516م وصل إلى دمشق وأقام مضاربه في مصطبة السلطان وأقام فيها اثني عشر يوما دخل دمشق ونزل القصر الأبلق، وقام الأهالي بعرض استقبال رائع للسلطان، وأدى السلطان صلاة الجمعة في الجامع الأموي حيث قرأت الخطبة باسمه وقصده شعوب سوريا وشيوخ العرب وأمراء الدروز لتقديم الطاعة والولاء له ولم تلبث طرابلس ، صفد، نابلس، القدس، وغزة أن ألقت سلاحها ولم تعهد إلى أية مقاومة، فقد كانت الأحوال في بلاد الشام سيئة فأكثر موانئها غير صالحة، والاسكندرونة مجموعة من الأكواخ، واللاذقية وصور وحيفا عبارة عن خراب وأما صيدا ، عكا، يافا، غزة فكانت عبارة عن قرى صغيرة، أما طرابلس فهي المدينة المنتعشة الوحيدة لان فيها ميناء لتجارة دمشق وحلب وفيما يخص المدن الداخلية فلم تكن بأفضل حال من سابقتها فجرش وعمان وصفد و طبرية والرملة مدمرة وغير مسكونة أما اللد والمجدل والسدود وبئر سبع فكانت قرى صغيرة، أما الكرك والصلط وعجلون فكانت عبارة عن قرى كبيرة. [5]

ثالثا: السياسة العثمانية في بلاد الشام.

تميزت الإدارة العثمانية في بلاد الشام بعدة خصائص أهمها: حفظ الأمن، وجمع الضرائب والفصل في الخصومات واعتبرت الخدمات العامة مسؤولية الأفراد والجماعات، ولذلك ساءت أحوال الشعب اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا.

---

[1] جميل بيضون، تاريخ العرب الحديث،ط 1، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد 1991م، ص 37.

[2] – فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003م، ص 46.

[3] جميل بيضون، المرجع سابق، ص 34.

[4] فاضل بيات، المرجع السابق،ص ص 46، 65.

[5] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 34 .

احتفظ العثمانيون بالبناء الاجتماعي الاقتصادي الذي كان سائد في بلاد الشام قبل دخوله بحوزتهم، فتركوا للعرب حرية الاحتفاظ بلغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وكان المجتمع في نظرهم ينقسم إلى طبق تين: طبقة الحكام، وهي طبقة أرستقراطية حاكمة منعزلة عن المجتمع، وطبقة الرعية المحكومة ومهمتها خدمة الأتراك.

وقد حافظت الدولة العثمانية على الطوائف فكان المجتمع ينقسم إلى طوائف لكل منها دستورها غير مكتوب من عادات وتقاليد موروثة، ولها شيخ يتولى تنظيم علاقاتها بدولة حيث ساعد ذلك العرب على الاحتفاظ بمقوماتهم الثقافية، بل أن العرب كان لهم الدور الكبير في النظام القضائي لدولة لأنه كان قائم على الشرعية الإسلامية.[1]

وبعد الاستيلاء العثماني على بلاد الشام في بداية الأمر حافظ العثمانيون على التقسيم الإداري المملوكي لبلاد الشام الذي قسمها إلى ستة مقاطعات، أطلق على كل واحدة اسم "نيابة"، ولما فتح السلطان سليم الأول هذه البلاد عام 1516م قسمها إلى أربع سناجق رئيسية: حلب، دمشق، حمص، طرابلس، وعين عليها حكام أتراك، وهكذا نلاحظ أن سليم الأول اتخذ اسم الوحدة الإدارية العثمانية"سنجق"بدل من الوحدة الإدارية المملوكية إلا أن الأمور تغيرت في عهد سليمان القانوني الذي أعاد النظر في الحدود الجغرافية، وفي صلاحيات حكام المقاطعات وذلك لاعتبارات سياسية بحتة ووضع نظام ا إداريا جديد في بلاد الشام ، ومرد ذلك تلك الثورة التي تزعمها نائب السلطان في بلاد الشام جان بردي الغزالي بعد وفاة سليم الأول الذي حاول أن يجر فلكه والي مصر خ اير بك لكن معركة القابون التي جمعت الجيش العثماني وجيش جان بردي الغزالي وضعت حدا لأهداف هذا التمرد والعصيان على السلطة العثمانية.[2]

و قسمت بلاد الشام إلى ثلاث ولايات يتولى كلا منها والي عثماني ولاية الشام، طرابلس وحلب.[3]

1)- باشوية الشام: ومقرها دمشق وتضم معظم بلاد الشام.

2)- باشوية حلب: وتشمل شمال سوريا.

3)- باشوية طرابلس"في لبنان": وتشمل الساحل.[4]

وغدت أربعة في القرن 17م بتحويل صيدا إلى ولاية عام 1660م، أما لبنان قد تولى بعض ا لمناطق أسر إقطاعية مثل بني عساف في عروا، وبني سيفا في طرابلس، وآل أرسلان في الشوف وفي حرفوش في البقاع وكان الحكم وراثيا في مناطقهم ثم قامت الأسرة المعينة وأسست لنفسها إمارة قوية، وأقام الشيخ ظاهر في صفد وعكا بفلسطين كيانا مستقلا فترة من الزمن.[5]

---

[1] عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية للنشر والتوزيع، ص 36.

[2] محمد الغالي الغربي، المرجع السابق، ص 81. أنظر الملحق رقم (2)، ص 58.

[3] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 84.

[4] رأفت الشيخ غنيمي، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1414هـ، 1994م، ص 46.

[5] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 84.

استمر هذا التقسيم قائما حتى الاجتياح المصري لبلاد الشام إذ عرف عدة تطورات من (1832-1840م) وقد حرصت الدولة العثمانية على أن تفصل بين هذه الولايات وتمنع أي تقارب قد يهدد وجودها لكن في كثير من الأحيان قد اضطرتها الظروف السياسية على أن تجمع كل هذه الولايات تحت سلطة وزير واحد، أما المناطق الجبلية فقد كانت علاقتها بالسلطة المركزية، علاقة غير مباشرة، فالمنطقة الشمالية مثل عين تاب كانت تحت سيطرة أمراء ورثوها في إقطاعياتهم، حيث تعودوا الحياة المستقلة ونظموا شؤونهم الإدارية تنظيما عشائريا بينهم، وينسجم مع طبيعتهم الجبلية ونمط حياتهم القبلي ، وقد قسم العثمانيون الولايات إلى سناجق ويشرف على كل ولاية والي وكانت سلطة الوالي مطلقة في ولايته.[1]

والوالي: هو الممثل السلطان في الأقاليم، لأن السلطان هو الذي يع يرهم، ولقب الوالي رسميا "الباشا" وكان الوالي يتسلم مرتبا سنويا "ساليان"بقطعة من الأموال التي كان يجمعها من ولايته، ويجمع الوالي بين السلطتين المدنية والعسكرية، وقد يتولى جمع الضرائب والرسوم في ولايته، ويعمل إلى جانب الوالي عدد من الموظفين يسمون أركان الولاية ، نائب الكتخدا "مسؤول عن تحرير الولاية،"الخزنة دار"أمين الخزانة ، "آغا الإنكشارية "وهو قائد الحامية العسكرية ويعينه السلطان.

أما الأمور القضائية فاسندت إلى القاضي الذي يعينه قاضي الإسلام في استانبول بأمر من السلطان، وكان للقاضي نواب في سائر أنحاء الولاية ويتمتع الوالي باحترام كبير بحكم منصبه كممثل للسلطان ، يشارك في موكبه كبار رجالات البلد وقادة الجند،كما اعتبر الوالي رئيسا للسلطة التنفيذية مع ممارسة حق الإشراف المطلق على الشؤون الإدارية والإقطاعية بالإضافة إلى بعض الصلاحيات القضائية والعسكرية، وكانت مهمته الرئيسية هي ضمان استمرار الولاية في ولائها للسلطان وتأمين والعدل للمواطنين.[2]

وكان في كل ولاية ديوان يتألف من كبار الضباط والموظفين والأعيان.[3] هذا الديوان يتبع الوالي يجتمع عادة في المحكمة ثم يذهب أعضاؤه إلى دار الولاية لعقد اجتماعهم صباح الجمعة لبحث شؤون الولاية برئاسة الوالي، ويضم الدفتردار والقاضي، نقيب الأشراف، نقيب الأشجار، وعدد من أعيان البلد، وبعد الانتهاء من البحث يسير الوالي في موكب رسمي لأداء صلاة الجمعة، وكان يرسل مذكرة سنوية إلى استانبول عن الأعمال والمداولات التي تمت في الديوان.[4]

أما بالنسبة للإدارة المالية نظم العثمانيون الإدارة المالية لضبط الولايات ومصروفاتها وقد تكونت الإدارة المالية من دواوين أهمها:

[1] محمد الغالي غربي، المرجع السابق، ص 39.

[2] جميل بيضون، وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط 1، دار الأمل للنشر والتوزيع 1414 هـ-1991م، ص ص 57، 65.

[3] عبد الله عودة، المرجع السابق، ص 34.

[4] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 57.

أ ـ ديوان الدفتردار: ويرأسه الدفتر دار، وكانت مهمته تحصيل الضرائب المتنوعة وتسهيل إرس ـال الأموال للسلطان، وكان يطرح الالتزامات في المزاد العلني، ويقرر ما يرسوا عليه المزاد.

ب . ديوان الرزنامة: وكانت مهمته جمع الأموال الأميرية وصرفها في وجوهها المختلفة تحت إشراف ديوان الدفتر دار.

أما بالنسبة للقوات العسكرية في الولايات فكانت متنوعة منها الإنكشارية وهي القوة الرئيسية في الدولة ، وهناك القطاعات العسكرية التي كانت تعهد إلى الفرسان الملزمين بتأدية الخدمة العسكرية والحضور في العرض العسكري بصور منتظمة والمساهمة في الحملات مع فرسانهم المحاربين، وكان يحدد عدد الفرسان بموجب سعة الإقطاع إذ كان كل

فارس يتلقى ثلاثة الاف أقجة ، وكانت الإقطاعات العسكرية يزيد دخلها عن عشرين ألف أق جة ويملكها زعيم، أما التي لا يتجاوز دخلها 20ألف أقجه فكانت تسمى تيمار ويملكها تيماري. وهناك الجنود والمرتزقة الذين قدموا الخدمة في الجيش العثماني نظير أجر معين.[1]

المبحث الثاني:انعكاسات السياسة العثمانية على الأوضاع في بلاد الشام.

أولا:ظهور الحركات الانفصالية وأسبابها.

ساعدت البيئة الطبيعة الصعبة في الأقاليم البعيدة من السلطة المركزية للدولة العثمانية على ظهور حكام أقوياء يسعون إلى تدعيم زعامتهم في المناطق التي يحكمونها رغبة في الانفصال* عن الدولة العثمانية. وقد ساعد في ظهور هذه الزعامات النظام الإداري القائم في الدولة على عدم انفراد أي هيئة بالسلطات والنفوذ، فكان الوالي "الباشا"إلى جانبه الإنكشارية "الأغا" بالإضافة إلى أصحاب الجاه والسلطة في البلاد، وكان كل طرف يتابع ويراقب الطرف الآخر ، يضاف إلى ذلك انغماس الولاة العثمانيين في جمع الضرائب والثروات، وانشغال الدولة العثمانية بالحروب الداخلية إلى جانب انحلال قوات الإنكشارية بمعنى أنها أخذ ت تهتم بالسيطرة والنفوذ والحكم أكثر من التركيز على الحرب، فضعف ارتباطها بالثكنات العسكرية . كما لا ننسى تسرب الضعف إلى الخلفاء كل هذا ساعد على ظهور حركات انفصالية في الولايات العربية ومن بينها بلاد الشام كحركة فخر الدين الثاني الشهابي، ظاهر عمر بفلسطين، وكانت أسبابها تعود إلى[2]:

1 . ضعف الإدارة العثمانية في الولايات العربية أدى إلى تردي الأحوال في ال عالم العربي اقتصاديا، اجتماعيا، ثقافيا، و عسكريا، حيث قامت بعض العصابات المحلية بمحاولات الاستئثار بالسلطة في بعض المناطق العربية

[1] عبد الله عودة، المرجع السابق، ص 35.

* الانفصالية بمعنى السياسي هي تعميق أو تكريس تجزئة الحركة الوطنية أو الوحدة الممثلة في تركيب البلاد، وتقوم بها فئة معينة بهدف الانفصال عن الدولة ، ويمكن أن تشتد وتتزايد بتشجيع وتدخل دول أجنبية، عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 372.

[2] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 70.

خاصة المناطق الجبلية والداخلية البعيدة عن أ عين الدولة العثمانية، وقد اختلف المؤرخون حول هذه الحركات من حيث طبيعتها وأسبابها وحول ما إذا كانت حركات انفصالية تسعى إلى إعلان الاستقلال الكامل عن الدولة العثمانية أم أنها كانت ترغب في الحكم الذاتي في ظل السيادة العثمانية.

2 . إن نفرا غير قليل من المؤرخين يرى أن هذه الحركات ترجع إلى ظلم الولاة الأتراك وثقل وطأة الحكم التركي ورجاله على الشعوب العربية.[1]

وكان الحكام العثمانيون في الولايات يسهرون لحفاظ على أمن البلاد الداخلي ، والقضاء على الفتن أو محاولة الخروج عن سيادة الدولة ، وجمع الضرائب المفروضة على الولاية وإرسالها إلى خزينة الدولة في الأستانة، ولكن هذه الضرائب كثرت على الشعب منها ضرائب ذات مصدر شرعي كالخراج والجزية والعشر ، والضرائب الديوانية وهي الضرائب التي كان السلطان يفرضها وقت الحاجة استنادا لسلطته العرفية وبناءا على حاجة الدولة لها، فقد فرضت الدولة العثمانية ضرائب متعددة على الأشخاص ، الأراضي ، الحيوانات، التجار ، والمنتجات وقد سميت تلك الضرائب بالعوارض الديوانية لأنها كانت تصدر بقرار من ديوان الدولة أو ديوان الوالي، ضف إلى ذلك فقدان الأمن الداخلي وتعرض المجتمع إلى السلب والنهب وخاصة المتاجر في المدن ومحاصيل الفلاحين في القرى الأمر الذي أفقر الشعب فتدنت القوة الشرائية، وضعفت الكفة الإنتاجية وانتشرت الأمراض والأوبئة. [2]فقد دفع هذا بعض العناصر المحلية إلى احتضان مطالب هذه الشعوب والتصدي للمظالم بهدف الارتقاء إلى كرسي الولاية.

3 . لعبت المطامع الشخصية دورا في دفع البعض للقيام بهذه الحركات الانفصالية أملا في تحقيق مكاسب مادية وسلطة سياسية وعسكرية كاملة. [3] لم تكن حركة المعنيين في لبنان، ومن بعدهم الشهابيين تستند إلى مبادئ واضحة في موقفهم المعادي للدولة العثمانية فكان نجاحهم في بسط نفوذهم على ولاية طرابلس أو خارجها يرجع إلى انتهازه م فرصة ضعف وانشغال الدولة العثمانية في مقاومة القوى الأوروبية، وقد دفعتهم أطماعهم إلى التخلي على المبادئ فادعى فخر الدين المعني الثاني الدرزي الإسلام لتقريب العناصر الإسلامية إليه ثم تقنع بقناع المسيحية لكسب ود العناصر والقوى المسيحية، وهو ما يصفه البعض بالحنكة السياسية،[4] وسلك الأمير بشير الشهابي الثاني الذي تولى حكم الأسرة الشهابية عام 1790م نفس الأسلوب حيث أستخدم الخديعة والحرب المهادنة والهدايا وادعى أمام الموارنة اعتناقه المسيحية وهو من الدروز كي يكسب تأييدهم.

---

[1] شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ العالم العربي الحديث المعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاضر، ط 1، مكتبة المصرية للمطبوعات،2007م، ص 35.

[2] محمد عرابي نخلة، تاريخ العرب الحديث، ط 1، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريد القاهرة، 2014م، ص ص51، 52.

[3] شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص35، 36.

[4] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 48.

وظهرت أسرة آل العظم في بلاد الشام في القرن 18م بفعل العديد من العوامل أهمها ما ساد في البلاد من فوضى بسبب الصراع بين العسكر و اصطدام قوات الطامعين المغامرين وضعف النواحي الاقتصادية، وعلى الرغم من إدراك الدولة العثمانية لحاجتها لعصبية قوية تقضي على هذه المظاهر وبالتالي تهيأت الفرصة لآل العظم فقد عملوا لمصلحتهم أكثر من سعيهم لتأمين مصلحة الدولة العثمانية وظلوا يوسعون نفوذهم. أما ظاهر العمر استطاع أن يحصل على إلتزام منطقة طبرية في فلسطين من باشا صيدا سنة 1733م، و أثبت قدرته على الإدارة فيها ثم تطلع إلى التوسع ف استخدم أسلوب الملاطفة والمسالمة أحيانا ، والاحتيال والتهديد أحيانا أخرى، حتى تمكن من ضم إلتزام صفد سنة1739م.

4 . الدور الذي لعبته الدول الأوروبية في مساندة الحركات الانفص .الية وتشجيع قيامها بسبب غياب الوع.ي القومي وأن المفهوم الإسلامي هو المفهوم السائد لدى الجماهير المسلمين في المشرق العربي على وجه الخصوص فإن هذه الحركات الانفصالية لم تستند إلى تأييد شعبي في موقفها من دولة الخلافة، ومن هنا التقت في أطماعها السياسية ومصالحها الاقتصادية مع الأهداف الاقتصادية الاستعمارية للدول الأوروبية الغربية، ولقيت المساندة على تحقيق هذه الأهداف التي كانت ترمي من قبل الدول الغربية إلى إضعاف العالم الإسلامي وعلى سبيل المثال: فقد حصل فخر الدين المعني الثاني على معونة من ذوق تسكانيا في إيطاليا ، إسبانيا فرنسا، وفرسان القديس يوحنا، وأرسل فخر الدين الثاني العديد من الدروز لتلقي العلوم في إيطاليا كما قام بالاتصال بالشاه عباس الأول الصفوي والتنسيق بينه وبين الأوروبيين[1].

وطد الأمير بشير الشهابي الثاني علاقته بفرنسا، والإكليروس الفرنسي و الإيطالي حتى جاء حكم مصر للشام في عهد محمد علي فضيق على المسلمين وسمح ببناء الأديرة ، والمدارس ، و الإرساليات التبشيرية المسيحية.

وقامت روسيا باتصالات مع ظاهر العمر في فلسطين أثناء حربها مع الدولة العثمانية ودفعت أطماع ظاهر العمر إلى الاستجابة لهذه الاتصالات وخاصة بعد أن هزم الأسطول الروسي الأسطول العثماني سنة 1770م، فقدم الروس لظاهر العمر مساعدات عسكرية لدعم حركته الانفصالية ضد الدولة العثمانية أسطول روسي بقيادة أليكسيس أورلوف للسيطرة على بلاد الشام[2].

ثانيا:الحركات الانفصالية في لبنان.

[1] زكريا سليمان بيومي، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية التحالف الإستعماري اليهودي وتمزيق الدولة الإسلامية، دار الإيمان للنشر والتوزيع، د م، 2009، ص 56.

[2] المرجع نفسه، ص 56.

1. الأسرة المعنية 1516- 1636 م.

بعد دخول العثمانيين لبنان سنة 1516م كان الوضع في لبنان يستدعي من الدولة تعاملا خاصا، ذلك لصعوبة التركيب الاجتماعي حيث قسم السكان إلى قيسية ويمنية *. وتركيب ديني يقسمها إلى مسلمين ومسيحيين بل كان التقسيم الديني أكثر تفصيلا فوجدنا بين المسلمين شيعة و دور وز**، ووجدنا المسيحيين ينقسمون الى موارنة، كاثوليك، وارثوذوكس وغيرهم، وبالتالي لم يفهم العثمانيين طبيعة المجتمع اللبناني لذلك صعب عليهم كيفية حكمه فلا عجب أن نرى لبنان يكون أول قطر عربي يثور ضد الحكم العثماني.

عهد السلطان سليم الأول أم ور الحكم في لبنان والمناطق الجبلية في سوريا إلى الأمير فخر الدين المعني الأول الدرزي الذي ينتمي إلى الأسرة المعنية [1]، وهي قبيلة تنتمي إلى معن الأيوبي حاربت الحملات الصليبية التي حاولت النزول على سواحل اللبنانية ، وعند قدوم العثمانيين إلى الشرق وانتصارهم في مرج دابق 1516م حكمت إمارة جبل لبنان لكن بعد ذلك أعلنت الانفصال عن السلطان العثماني. [2]

وقد تولى فخر لدين المعني الأول الحكم في هذه المناطق مقابل أن يعترف بالسيادة العثمانية، ويقدم للدولة العثمانية في اسطنبول الجزية السنوية ومعها دلائل الخضوع، وقد أعجب السلطان سليم الأول بفصاحة فخر الدين الأول وقوة شخصيته وأطلق عليه لقب "سلطان البر"، وترك السلطان سليم الأول للأمراء في جبل لبنان وهم المعنيون استقلالهم الذاتي تحت حكم العثماني، وتمتعوا بالحرية الكافية وإتباع سياستهم العائلية الخاصة ما لم يكن ذلك يهدد المصالح العثمانية أو يمس بالسيادة ، أو السيطرة على الطرق والمدن في بلاد الشام، لذا فقد كان الحكم العثماني في لبنان أقل مباشرة مما كان عليه في مناطق بلاد الشام كسورية، وتمتع أمراء لبنان بالامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في عهد المماليك لفترة من الزمن.

لكن مبالغة الدولة العثمانية في طلباتها دفع الأمير فخر الدين الأول إلى إعلان العصيان ضد الدولة العثمانية وإثارة القبائل في لبنان مما عجل باصطدامها بالدولة العثمانية التي لم ترض خروج حاكم معين عن طوعها، فظل الصراع بين الطرفين حتى انتهت حياة الأمير فخر الدين الأول * عام 1544م في بلاط باشا الشام في دمشق لكن موت الأمير لم ينه الصراع بين الأسرة المعنية والدولة العثمانية إذ واصل أبنه

---

* كانت قبيلة قيس التي ينتسب إليها القيسيون قبيلة شمالية مواطنها ضفاف الفرات، أما اليمنية فكانت تنتمي إلى قبيلة عربية جنوبية هجرت مواطنها الأولى ونزحت شمالا إلى سورية. أنظر، عمر العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516_ 1922م، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ص 164.

** نشأت العقيدة الدورزية الداعية إلى تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي (996_ 1021هـ)من دعوة نادى بها دع فارسي الأصل وهو محمد بن إسماعيل الدرزي، أما واضع فلسفة العقيدة الدرزية فهو داع فارسي آخر اسمه حمزة اللباد الزوزني، أنظر، المرجع نفسه، ص 163.

[1] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 74.

[2] أنطوان مراد، المرجع السابق، ص 81.

* هو ابن عثمان بن ملحم ابن أحمد من آل معن من أمراء الشوف بلبنان حضر موقعة مرج دابق فر من جيش قانصوه الغوري، وانضم إلى جيش سليم الأول الذي منحه لقب مقدم وأقره بإمارته بالشوف. أنظر، خير الدين الزركلي ، للأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج 5، ط 5، دار الملايين، بيروت ، 1980م، ص 183.

قرقماس"1544- 1585م"الكفاح ضد حملات التنكيل التركية التي أرسلت لإبادة الدور لكن قرقماس لقي حتفه عام 1585م مع كثير من زعماء لبنان وقادته أثناء حرب هـ مع الأتراك،وتعرضت أسرته إلى عمليات تنكيل[1].

وفي عام 1590م استلم فخر الدين الثاني ** (1590- 1635م) الإمارة وكان أبوه قرقماس تطلع إثر تسلمه الإدارة إلى مد سلطته إلى لبنان الشمالي وعلى سهل البقاع في الشرق، وقد حرص خلال هذه الفترة من توطيد سلطته من خلال كسب عطف السلطان العثماني بالهدايا وتقديم مال الميري دون تأخير، غير أنه لم يستطيع القضاء على جاره ووالد زوجته يوسف باشا سيفا وعلى نفوذ أسرته حتى عام 1627م.

وظل بنوسيف*طيلة هذه الفترة في حجرة عثرة امام فخر الدين وحدوا من توسعه في الشمال، ولكن بقيت له الحرية في الشرق والجنوب.[2]

أعلن فخر الدين الثاني بالاشتراك مع جان بلاط الكردي الثورة على الباب العالي منذ 1603م، ولكن الدولة لم تتعرض له، حتى بعد هزيمة جان بلاط بل تركت حكم البلاد الواقعة بحوزته، لقاء جزية يدفعها.[3]

وسعى فخر الدين الثاني لتوسيع إمارته وإتباع التحديث والتغير فدعم الشهابين في وادي التيم ، وآل حرفوش في بعلبك، وآل أرسلان الدرزية وتصاهر معهم ومع آل جان بلاط **، وآل خازن في كسران، وانتصر على آل سيفا في نهر كلب 1598م، واستولى على كسران وصيدا وتحكم بمنافذ لبنان وأخذ يمد نفوذه إلى ما وراء الجبل لضم حوران وعجلون نابلس ومناطق مجاورة.[4]

وأسس قوة عسكرية اعتمدت على فلاحي جبل لبنان، وكان قوامها 40 ألف جندي، وحسن الزراعة، وشجع التجارة مع فلورنسا ووضع لبنان في طريق التقدم والعمران في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية منشغلة بمشكلاتها الداخلية والخارجية.

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص96.

** فخر الدين الثاني (1572_1635م) هو ابن قرقماس من آل معن من الدروز لبنان بالشوف عظم أمره أثناء حكمه، وناوئ حكومة الأستانة، واستولى على صفد،بيروت، وصيدا، أنظر، المصدر نفسه، ص183. أنظر، الملحق رقم (9)، ص 67.

* بنو سيفا من الأكراد سكنوا عكاز ثم امتد نفوذهم إلى طرابلس عظم نفوذهم عهد يوسف باشا، وكانت نهايتهم على يد بني معن، أنظر، أحمد عزة عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ص 139.

[2] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 96.

[3] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر، بنيه فارس، منير البعلبكي، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1998م، ص 513.

** آل حرفوش، أمراء بعلبك والبقاع كانوا شيعين ناوؤا الدولة العثمانية تمكنت من القضاء عليهو ونفتهم إلى كريت، آل أرسلان : هم من العشائر المنمية إلى بني تنوخ مركزهم الشويفات بيروت، اشتهروا إبان الحروب الصليبية . آل جون بلاط: مركز في شمالي سوريا قاموا بثورة ضد الدولة العثمانية، أنظر، أحمد عزة عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص ص138،107،106.

[4] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني،151-1916، دار إسهانة للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص ص137، 138.أنظر الملحق رقم (5)، ص 61.

وشرع فخر الدين في إبرام اتفاقيات خارجية خصوصا مع إمارة توسكانيا في إيطاليا أخذت في بادئ الأمر صفة تجارية هدفها تسهيل التبادل التجاري، وفتح الموانئ اللبنانية والسورية للتجارة الأوروبية حتى أصبحت تعج بالسفن من جميع الجنسيات، ثم تطورت إلى اتفاقيات سياسية ترمي إلى مد الأمير بالذخائر ، الأسلحة والسفن، وهكذا تمكن الأمير بالقيام بنهضة شاملة في البلاد. فقد وطد الأمن واعتنى بالتنمية الاقتصادية. شعرت الدولة العثمانية بالخطر الذي يحيط بها من حركة الأمير فخر الدين ولا سميا اتصاله بالأجانب، [1] و أدرك السلطان العثماني طموح الأمير في ا لتوسع، فاعتزم للقضاء عليه وعهد إلى والي دمشق حافظ باشا وأرسل جيشا وأسطولا عام 1613م فتخلى زعماء القبائل والأمراء عن حليفهم الأمير فخر الدين وأبدوا خضوعهم لوالي دمشق.[2]

استطاع الأمير فخر الدين الثاني الصمود أمام القوات المؤلفة من ثلاثين ألف مقاتل تسعة أشهر أضطر بعدها أن يأتمر بوحي العقل فعمد إلى التراجع، ووافق آنذاك وجود ثلاث سفن في مرفأ صيدا حملته مع إحدى زوجاته وموكب من أصدقائه إلى إيطاليا، وترك الإمارة في يد ابنه علي يساعده أخوه يونس. [3] ومكث فخر الدين في أوربا خمس سنوات فحل ضيفا على الدوق كوزيمو الثاني حاكم تسكانيا.[4]

قضى فخر الدين الثاني خمس سنوات في أوروبا أطلع خلالها على مظاهر التقدم الصناعي والاقتصادي والثقافي فيها. [5] وأثناء ضيافته حاول أن يقنع حاكم تسكانيا بتكوين حملة صليبية لاحتلال فلسطين وطرد الأتراك من بلاد الشام ولكن كوزيمو . "كوسموس" في بعض المراجع . لم يبدي تحمسا لهذا المشروع.

كما سعى الأمير فخر الدين الثاني إلى تكوين حلف مع فرنسا والبابوية وفرسان القديس يوحنا في مالطا وإسبانيا وفلورنسا في إيطاليا للعمل ضد الدولة أوروبا المسيحية لم تتحمس للمشروع، وخشي البابا أن لا يجدي المشروع، إلا في إثارة العثمانيين ودفعهم إلى الانتقام من رعاياهم.[6]

وفي الفترة التي كان فيها فخر الدين الثاني في إيطاليا خف العداء في اسطنبول ضده، وذلك لانشغال الدولة بحربها مع الصفويين، عاد فخر الدين الثاني إلى لبنان عام 1618م بعد أن أصدر السلطان العثماني فرمانا بالعفو عنه.

وشرع في توطيد سلطته من جديد فاهتم بتطوير اقتصاديات بلاده الزراعية والتجارية، واعتمد على تنشيط التجارة كمورد من موارد الثروة، واستخدام عائدات الجمارك ببيروت وصيدا لتمويل جيشه، وترتب على ذلك أن غدت صيدا أكبر ميناء تجاري في شرق البحر المتوسط، وكان تجار فلورنسا يصدرون منها منتجات لبنان

[1] محمد عبد الله عودة، المرجع السابق، ص ص41، 42.
[2] مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 138.
[3] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 72.
[4] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 167.
[5] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 72.
[6] رأفت غنيمي، المرجع السابق، ص 49.

من الحرير وزيت الزيتون والقمح، واستقدم فخر الدين من إيطاليا مهندسين مدنيين للري وخبراء زراعيين لاستخدامهم في مشاريعه العامة والخاصة.[1]

دخل فخر الدين الثاني في مواجهة مع آل سيفا ووسع في عام 1622م إمارته في شمال بلاد الشام، واقتطعت منه سابقا الدولة العثمانية صفد، عجلون، ونابلس، واعترف السلطان به واليا على البلاد العربية من حلب إلى مصر باسم "سلطان البر"، وأمير عربستان وأثار هذا التوسع تخوف والي دمشق مصطفى باشا فهاجم لبنان، لكن الأمير فخر الدين المعني انتصر عليه وعلى حلفائه من آل حرفوش وآل سيفا في موقعه عنجر عام 1623م.[2]

وفي عام 1624م توفي يوسف سيفا الخصم اللدود لفخر الدين الثاني وبعد حصول هذا الأخير على لقب سلطان البر بمرسوم سلطاني وتعيينه أمير على عربستان من حلب إلى العريش شريطة أن يقدم فخر الدين الثاني مال الميري في خزينة الدولة وأن يحافظ على الأمن في منطقة، وقد عزز فخر الدين حتى دفاعاته وقواتهفبنى الحصون والقلاع[3]، وبذلك عظم سلطان فخر الدين حتى لم يبق أمامه سوى دعوى السلطة، وليس معنى هذا أن فخر الدين تولى حكم هذه البلاد التي تؤلف سوريا كلها وإنما هو تولي التزام أموالها، على أنه لا شك في هذه الإدارة المالية قد وطدت سلطاته وأعلنت مكانته، ومكنته من التدخل في حكم هذه البلاد فوالاه بشواتها، واتجه إليه أهلها، فكان يدخل المدن في المواكب الفخمة يجني الأموال.[4]

استمر فخر الدين يحكم بعد موقعه عنجر مدة عشر سنوات، ومن أعماله هذه أثار شكرك السلطان بعد أن بلغ من القوة حدا فأنه قد يعلن الثورة مستقلا انشغال العثمانيين بقتال الصفويين، ولهذا أمر السلطان مراد الرابع عام 1633م واليه في دمشق أحمد باشا "كجك" . و"كزتشك" ـ في بعض المراجع بالتوجه لقتال فخر الدين ووضع تحت تصرفه جيشا كبيرا من جنود الأناضول ومصر، وقام في الوقت نفسه أسطول عثماني يهاجم الموانئ والحصون الساحلية، وانتصر أحمد كجك على الأمير علي بن فخر الدين في البقاع عام 1634م وفتك بمعظم قواته.[5]

قتل فخر الدين في المعركة وتداعت سيادة المعنيين وأختفي فخر الدين في إحدى المغارات الجبلية، ولكن قبض عليه في أوائل عام 1635م وأرسل إلى إسطنبول. [6] حيث عاملهم السلطان بكل احتفاء وإكرام إلى حين قصير.[7] ودافع أمام السلطان عن نفسه قائلا: " أنني مظلوم فما جمعت الرجال إلا بأمر الوزراء والنواب، ولم ابن القلاع إلا للدفاع عن حوزة البلاد وما قتلت إلا الذين مرقوا من طاعة الدولة فاستوليت على حصونهم

[1] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع نفسه، ص 98.

[2] مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 139. أنظر الملحق رقم (6)، ص 62.

[3] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 98. أنظر، الملحق رقم(04)، ص60.

[4] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 169.

[5] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 98.

[6] عمر عبد العزيز عمر، المرجع، السابق، ص 169.

[7] محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ج 2 ، دار الجيل، بيروت، د س، ص 283.

لأسلمها إلى الحكومة العثمانية وأمنت طريق الحجاج يمنع العرب من التعدي عليهم، وأديت الأموال الأميرية بأوقاتها وأيدت الشريعة الإسلامية "الشريفة"محافظا على قوانينها وسننها ...."

وبقي في مصر الأمير المنفي معلقا حتى بلغ الباب العالي أن أقارباه وإتباعه قد تمردوا على السلطة الجديدة التي أقامها. وفي 13 أفريل 1635م قطع رأسه ورؤوس بنية الثلاث الذين كانوا قد اعتقلوا معه، وعرض جده في أحد المساجد ثلاثة أيام، وهذا الحكم الذي راوده بإنشاء لبنان أكبر مستقل ونجح في وضع أسس هـ حاول تحقيقه ثانية أحد أفراد ذريته الأمير بشير الشهابي.[1]

بعد وفاة فخر الدين عمد والي دمشق إلى تشريد العديد من العائلات من ديارها وقطع نحو خمسين ألف شجرة توت تمثل مصدر الثروة للبلاد، وساءت أوضاع البلاد وقد تدهور اقتصادها فطرأ على لبنان عهدا من القلق والفوضى.[2]

2: الأسرة الشهابية:(1697-1840م).

بعد قضاء الدولة العثمانية على حكم الأسرة المعنية في لبنان طلبت من أعيان البلدان يتشاوروا فيما بينهم في أمر الولاية وكان ذلك 1697م، وعقد اجتماع في السمقانية بالقرب من دير القمر وهي عاصمة المعنيين، حيث أجمع إتباع المعنيين على انتخاب الأمير بشير بن حسين الشهابي، أحد أمراء أسرة شهاب في واد التيم وهو ابن أخت الأمير أحمد المعني، أما الباب العالي ففضل تعيين حيدر الشهابي *هو ابن بنت الأمير أحمد المعني وابن عم بشير، فكان حيدر هذا يبلغ من العمر أثنا عشر سنة مما أوجب على الدولة العثمانية تعيين الأمير بشير وصيا عليه حتى يبلغ سن رشده.

وبعد عشر سنوات من الوصايا توفي بشير(1697م _1707م) وتولى حيدر بصفة رسمية زمام الأمور في لبنان في ظل هذه الظروف ورث الشهابيين وهم أقوى الأسر وقتها سيادة مزعزعة في لبنان وذلك في ظل استمرار الصراع بين القيسية واليمنية، فبعد وفاة يوسف سيفا وه و خصوم فخر الدين فقدت أهميتها فطردت من طرابلس في عام 1637م، ولكن بقيت أسرة علم الدين مركز دائما للمعارضة تحظى بتأييد اليمنية، في بداية حكم حيدر تمكن من بسط يديه على إقليم بشارة الشيعي وهو يقع إلى الجنوب من جبل لبنان، وعين شيخا درزيا من الشوف يدعى محمود أبا هرموش ممثل وملتزم لهذا الإقليم.[3]

فكر حيدر في القضاء على حزب اليمنية قضاء مبرما فجمع حوله جموع القيسية من المعنيين، وبني خازن ، حماد، جان بلاط ، وتلحوق وغيرهم من الدروز والموارنة ، وهاجم اليمنية في معركة أفتكت بهم تسمى بمعركة

---

[1] فليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،ج1-2، تر، جورج صداد، عبد الكريم رافيق، دار الثقافة، بيروت، د س، ص ص232، 333.

[2] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 74.

* حيدر الشهابي: 1761_1835م مؤرخ من الأمراء الشهابين بلبنان كانت إقامته بقرية شملان ولا تزال فيها أثار داره، أنظر، خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج 2، ص 290 .

[3] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ص 172 ، 173.

عين دارة وكان ذلك سنة 1811م.[1] أسفرت المعركة على سيادة الأسرة القيسية في لبنان واستئصال شأفة اليمنية منه، مما أدى إلى نزوح بعض فلول العصاة الذين هاجروا إلى جبال حوران * وأنشئوا هناك جالية جديدة درزية ثم تعقب الشهابيين مناوئهم من آل علم الدين الذين أيدوهم.[2]

ويعد هذا الانتظار الساحق هو عدم تدخل العثمانيين ، جدد حيدر نظام لبنان وفقا لمصالحه ومصالح أعاونه، فنظر لما أبداه اللمعيون من البسالة في القتال، رفعوا إلى مصاف الأمراء ورفع بيوت من العامة من قيلان، والنبكدي، و تلحوق، وجان بلاط إلى رتبت المشايخ وشيخهم على مقاطعات اليمنين وبالتالي شكل النظام الإقطاعي في لبنان.[3]

هذا النظام أو الوضع الذي ساد في لبنان أدى إلى انقسامه إلى جبهتين ** آل جان بلاط ، وآل يزبك الذين أخذوا اسمهم من آل عماد، وهم كذلك أسرة درزية جاءت من منطقة الموصل فبدأت المنازعات الأسرية تنتشر في الأسرة الشهابية.[4]

في عام 1732م تنازع حيدر عن الحكم لإبنه ملحم (1732-1754م) بعد فترة حكم ناجحة وعاد إلى بيروت، وفي 1754م تنازع أخه عن الإمارة فمال أحدهما وهو منصور إلى حزب جان بلاط، وأحاز الآخر وهو أحمد إلى حزب اليزبكية، وأسفر الخصام على استقلال الأمير منصور بالحكم (1763-1770م) وما إن بلغ يوسف بن ملحم أشده حتى تنازل له منصور عن الحكم وقد تزايد في عهد يوسف (1770-1788م)، النفوذ المسيحي ويرجع ذلك إلى نفوذ سعد الخوري وهو ماروني وكان وصيا عليه وقد أسس أسرة مهمة مازالت في لبنان في الوقت الحاضر.

لقد عاصر يوسف شخصيتان مهمتان وهما ظاهر العمر وأحمد الجزار اللذان قادا حركتان انفصاليتان سيرد لهما ذكر في مراحل بحثنا الآتية، في عهدهما بدأ التنافس بين فلسطين ولبنان، وفي عام 1788م دعى الجزار الناس لانتخاب بشير الشهابي الثالث (1740-1788م)م وأمر بشنق يوسف الشهابي في عك 1771م .[5]

مما يلاحظ خلال هذه الفترة هو غياب الدولة العثمانية عن مسرح الأحداث في المنطقة في فترة حكم الشهابيين وهذا راجع إلى القضاء على اليمنية الذين كانت الدولة العثمانية تستخدمهم في صراعها ضد

---

[1] أحمد عزة عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، د د، د م، د س، ص ص 141، 142.

* صار يدعى فيما بعد بجبل الدروز يضم اليمنيين والدروز الذين ينتمون إلى حزبهم، أنظر، عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 173.

[2] فليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، المرجع السابق، ص 335. أنظر الملحق رقم (8)، ص 64.

[3] أحمد عزة عبد الكريم، المرجع السابق، ص 142.

** النفوذ والتوسع الذي وصل له علي جان بلاط الأمر الذي أزعج يوسف الشهابي فأوقع هذا الأخير بينه وبين زعيم أسرة إقطاعية أخرى وهي أسرة الشيخ عبد السلام العماد والبيتان درزيان وتحزب الناس بينهما فدعي أتباع جنبلاط بالجنبلاطية ، واتباع اليزبكية نسبة إلى الجد الأعلى للشيخ عماد وهو يزبك ، أنظر، أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص142.

[4] فليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، المرجع السابق، ص 335.

[5] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 175.

القيسية في الأسرة المعنية ووريثتها الشهابية خاصة بعد القضاء هذا أسرة علم الدين أكبر الأسر المناهضة للقيسية مما دفع الأتراك إلى التخلي عن معاداة الأسرة الشهابية وعدم التدخل في شؤون لبنان الداخلية لمدة طويلة .

كان الأمير بشير الثاني الشهابي الذي حكم لبنان سنة 1788م يتمتع بشخصية قوية ، وكفاءة عالية وطموح على غرار فخر الدين المعني الثاني، بحيث حاول توسيع حكم لبنان، وصمد أمام المحن لمدة نصف قرن، وكان شديد

البأس والمواجهة مع زعماء الإقطاع، الأمراء الآخرين سواءا في دمشق، طرابلس، صيدا.[1]

ومما أثار الخلاف بينه وبين الجزار هو تبعيته للسلطان العثماني مباشرة بدلا من بلشوية عكا التي كان الجزار واليها، وهو الذي أقره في هذا المنصب، كذلك عدم تقديم المساعدات له في مواجهة حملة نابليون بونابرت (1798م) ثم الشام وصل إلى عكا، في حين ساعد بشير الصدر الأعظم في صد الفرنسيين ووعده الأخير بمكافئة على موقفه هذا، وقد خشي انتقام الجزار بعد أن صد نابليون على أبواب عكا في 1799م بدعم من الأسطول الإنجليزي إلا أن الدولة العثمانية، لم تف بوعدها حيال بشير الثاني.[2] ولم تمنحه حكم جبل الدروز، التيم، بعلبك، البقاع، جبل كامل وجبيل وعندما توفي الجزار عام 1804م سجن الأمير بشير خصومه وركز السلطة بين يديه وضمن ممتلكاته.

واجه الأمير بشير غضب الدولة العثمانية عندما تدخل لدعم والي صيدا ضد والي دمشق، وألحق به الهزيمة، وقرر الباب العالي محاربته فهرب الأمير بشير باشا لبنان إلى مصر واستقبله محمد علي باشا بحفاوة، وعاد الأمير بشير عام 1831م إلى لبنان بعد واسطة محمد علي لدى السلطان العثماني، فتعاون بشير مع محمد علي باشا أثناء حروبه في بلاد الشام وبقي بشير في لبنان حتى 1840م بعد أن تدخلت الدول الأوروبية في المواجهة العثمانية المصرية ، وهاجمة السفن الأوروبية قواعد الجيش المصري في بيروت، وانسحبت القوات من بلاد الشام واستسلم بشير في العاشر من أكتوبر لإنجلترا وتم ترحيله إلى مالطا مع أسرته وحاشيته ثم انتقل إلى اسطنبول حتى توفي فيها عام 1850م ونقل رفاته إلى قصره عام 1947م في مقره في بيت الدين ليكون موقعا تاريخيا.[3]

عمل بشير على إصلاح أحوال لبنان حيث استطاع بالخديعة والحرب جنبا والمهادنة جنبا آخر أن يستقطب القوى المتنافرة في لبنان فمع أنه كان درزيا بصفة رسمية إلا إن هذا لم يمنع من أن يظهر أمام الموارنة لأنه مسيحي، وأن يدعي اعتناقه المسيحية حتى يضمن ولائهم له ويتمكن من توحيد لبنان، ورغم ذلك اتسم

[1] مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص141.

[2] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 52.

[3] مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص ص 141، 142.

حكمه بطابع التقدم وجني ثمار الإصلاحات الاقتصادية في عهده بالعيش في ترف ، تجلى في قصره بيت الدين الذي دفن فيه.[1] وواصل إنجازاته التحديثية كبناء الجسور، المدارس، المعاهد العلمية.[2]

لكن بعد وفاته يدخل لبنان مرحلة أخرى يسلك منحى آخر في نظام الحكم خاصة بعد تدخل الدول الأوروبية خاصة فرنسا وإنجلترا في المنطقة.

ثانيا: حركة أسرة آل العظم بسوريا 1724- 1786م.

تولى آل العظم* الحكم في سوريا لمدة بلغت 60 عام وقد حدث هذا بسبب توفر ظروف معينة اضطرت الدولة العثمانية إلى الاستعانة بأفراد هذه الأسرة لتولي مقاليد الحكم في إيالة سوريا وتمثلت هذه الظروف فيما أصاب سوريا من فوضى واضطراب بعد ان كان الأمن مستتب ، والحياة الاقتصادية نشيطة ومستقرة في بداية الحكم العثماني.

أصاب سوريا نوع من الفوضى كان سببها المسئولين عن الاستقرار والأمن ، سواء من القوات العسكرية المحلية المتمركزة هناك ، أو الوافد من مركز الدول العثمانية، وإذا كانت مدينة حلب شهدت طوال قرنيين من الزمن تقريبا من بداية الحكم العثماني من استقرار وازدهار اقتصادي ، حتى أصبحت أكبر المراكز التجارية فيها مصنع لشركة إنجليزية اليفانت بسب وقوعها على الطرق المؤدية إلى تركيا من ناحية ، والعراق من ناحية أخرى فإن النزاع ضد القوات المحلية في المدينة والتي عرفت باسم الأسياد والأشراف من ناحية ، وبين القوات الوافدة ونعني الإنكشارية أدى إلى تدهور النواحي الاقتصادية واضطراب نشاط السكان.[3]

أما دمشق فكانت مدينة ذات طابع عربي بحث من ناحية سكانها ومصالحها وهيئ اتها. فكان يقع على عاتق حاكمها وحاميتها مهمة المحافظة على الأمن طوال الطريق الكبرى التي امتدت من المدينة متجها شمالا إلى حلب عبر حمص وحماة، وجنوب الحجاز، الأماكن المقدسة، غرب البقاع إلى ميناء بيروت طرابلس، عبر الجليل وسهل فلسطين الساحلي إلى مصر، وللاعتبارات الدينية والسياسية والتجارية على سواء كان لابد من ضمان أمن وسلامة قافلة الحج، وكانت سلامة هذه القافلة هي الشغل الأول للسلطات العثمانية في دمشق.

وكانت فترة حكم نصوح باشا بن عثمان باشا 1708- 1714م والي دمشق وأصبح في نفس الوقت أمير الحج فترته كانت فترة استقرار وهدوء وقد أدى الجمع بين هذين الوظيفتين إلى تأكيد سلامة الحجاج ،

---

[1] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 52 .

[2] مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 142 .

* اختلف الباحثون في اصلهم هناك من قال أنهم أتراك من قونية، ومن قال أنهم عرب من معرة النعمان بقرب حلب، أو كانوا عرب أو أتراك فقدا قام أكثرهم في بلاد الشام، ومنهم من ظهر بمظهر حكام عرب واول من عرف من آل العظم هو إبراهيم الظم كان جنديا وسكن واسرته في معرة النعمان. انظر، احمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 189 .

[3] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 45.

وازدياد نفوذ الوالي ولكن نجاح نصوح باشا أثار شكوك الدولة العثمانية فأرسلت جيشان عند عودته من آخر بعثة للحج قام بها فقبضوا عليه وقتلوه.[1]

وفي القرن الثامن العشر شهد نوع من الفوضى والاضطراب بسبب النزاع بين الإنكشارية السلطانية وهي القابيقول، وبين الإنكشارية المحلية التي تسمى اليردلية. [2] في وسط هذه الفوضى والاضطرابات تولى أفراد أسرة آل العظم الحكم وتمكنوا من إعادة النظام والأمن والاستقرار عام 1724م عندما عزلت الدولة عثمان باشا وعينت مكانه إسماعيل باشا المشهور بآل العظم وهو ابن أحد الجنود السابقين في الحامية التركية وكان حاكم على صيدا.[3] إسماعيل العظم *هو في الواقع مؤسس الأسرة ووصل إلى مرتبة الباشوية وتبعه أبناؤه وأحفاده ولقوا دعم الباب العالي السياسي والمادي ، وازدهرت في عهد إسماعيل تجارة الحرير والتبغ عبر البلاد وتصدير المواد الغذائية والمواشي وإقامته العمران والمدارس والحمامات.[4]

عمد إسماعيل باشا على زيادة نفوذ أسرته عن طريق إرضاء الرأي العام الدمشقي ببناء غارات البدو عن طريق تجنيد قوات خاصة من المغاربة لكي تزيد من تدعيم سلطته العسكرية إضافة إلى سلطته الإدارية ، واتبع أثناء فترة حكمه السياسة التوازن بين القوة المتصارعة في الولاية قيسية ويمنية بهدف إيجاد الاستقرار في ولايته ، وقد عمل على تحقيق سياسة التوازن بين قبائل البدو والذين كانت سيطرتهم تكاد تكون شاملة في جنوب بلاد الشام، خاصة في طريق الحج بين دمشق والحجاز وقد بلغ نفوذ آل العظم درجة كبيرة من القوة مابين (1725_1730م) حيث أصبح حكام ولايات الشام وطرابلس وصيدا من أبناء هذه الأسرة.

وفي عام 1730م ثار الإنكشارية في اسطنبول احتجاجا على هزيمة الجيش العثماني أمام القوات الفارسية، وكان من نتيجة هذه الثورة قتل الصدر الأعظم ونائبه قبطان باشا ففقد آل العظم بذلك نفوذهم الذي كان يعتمد على نفوذ الصدر الاعظم. كما أن الإدارة في اسطنبول في ذلك العام استاءت من إسماعيل باشا بسبب هجوم بدو بني حرب في الحجاز على قافلة الحج التي كان أميرها، فقامت الدولة العثمانية بمصادرة أموال آل العظم بسبب حاجتها لتمويل حربها ضد الفرس [5]. وسجن إسماعيل باشا وأطلق سراحه عام 1731م و عين على جزيرة كريت، وظل فيها حتى توفي عام 1732م[6].

---

[1] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ص158، 159.

[2] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 53.

[3] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 195.

* حكم المعرة أولا، ثم حماة وحمص برتبة أمير أمراء ووالي ولاية طرابلس عام 1724م ثم انتقل منها إلى دمشق عام 1724أول باشاوات من بني العظم، وأقام واليا على دمشق ست سنوات، ثم عزل، أنظر، أحمد عزة عبد الكريم، المرجع السابق، ص189.

[4] محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص ص 69، 70.

[5] هشام سوادي، المرجع السابق، ص 56.

[6] مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص162.

استطاع أفراد آل العظم استرداد نفوذهم بسبب القضاء على زعماء الثورة واستعادة وكيلهم لبعض نفوذه وعودته مرة ثانية لحماية مصالحهم، وفي عام 1733م عين سليمان باشا أخو إسماعيل باشا على باشوية دمشق وظل في هذا المنصب مدة خمس سنوات، خلال هذه الفترة قام سليمان باشا بنفي عدد كبير من الإنكشارية وظل يسيطر على زمام الأمو ر، وعندما توجه إلى مصر سنة 1738م ترك وراءه في دمشق موقفا مضطربا، ففي عام 1740م وقعت شوشرة بين القابيقول والإنكشارية، وتفرق القابيقول في الحارات ، وأثناء ذلك وصلت فرقتان جديدتان من القابيقول من اسطنبول، وزاد وصولها من أعمال الشغب بسبب اضطهاد أهل الحرف في المدينة، وانضم العلماء إلى الوالي والأعيان للاحتجاج لدى السلطان العثماني والمطالبة بطرده م، ووافق السلطان على ذلك واتخذت بعض الإجراءات ضدهم، فقتل منهم من قتل وطرد الآخرون، أما من بقى منهم فسمح لهم البقاء في دمشق و ارتداء الملابس المدنية.

ولما فشل في السيطرة على الموقف عين سليمان باشا العظم مرة أخر واليا على دمشق في عام 1741م، وبعد انهيار قوة القابيقول* تزايد نفوذ اليردلية، ولكن سليمان باشا كان حريصا على تجنب الاصطدام بهم، ولم يستمر سليمان باشا هذه المرة فترة طويلة لأنه توفي بينما كان يحاصر ظاهر العمر في طبرية [1].

خلف سليمان باشا في الحكم ابن أخيه أسعد باشا (1743_1757م)، واستمر أسعد باشا في الحكم مدة أربعة عشرة عاما ذروة حكم أسرة آل العظم و ازدهارها ، حيث بنى في دمشق أثرين بارزين هما قصر العظم عام1749م وخان سعد باشا عام 1752م مما يدل على الانتعاش الاقتصادي في دمشق، وقام أسعد باشا أيضا بترميم المساجد والحمامات والمدارس والخانات [2] ... هذا إلى جانب تأمين قافلة الحج وطوال عهده نجح الحجاج إلى الذهاب إلى الحجاز بأعداد كبيرة، وازداد عدد التجار المرافقين لقافلة الحج فاستفادة دمشق من ازدياد النشاط التجاري بهذه المناسبة [3].

تصدى أسعد باشا خلال فترة حكمه الطويلة لمحاولات الخروج عليه من قبل اليردلية والدروز الطامعين في الباشاوية ذلك أن الفرقة العسكرية المعروفة باليردلية ثارت ضد أسعد باشا، وكان يتزعمها الدفتر دار سيد فتح الله الذي كان على رأس أسرة كبيرة في دمشق، ولكن أسعد باشا استطاع عام 1746م القبض على فتح الله

* تحريف للكلمة التركية قبو قولي، قبو تعني الباب وقول تعني العبد، وتعني عبيد السلطان أي عبيد باب السلطان وأصبحت تطلق على جند السلطان وحرسه،أنظر، خالد صافي، "،مجلة الجامعة الإسلامية "، مج 13، ع 2، سلسلة الدراسات الإنسانية، 2005م، ص 41.

[1] عمر عبد العزيز عمرء

، المرجع السابق، ص160.

[2] مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 162.

[3] هشام سوادي، المرجع السابق، ص 56.

وعلى عدد كبير من اليرلية وأن يقتلهم جميعا، كما اصطدم بحسين باشا بن مكي * الذي كان حاكما لصيدا واستطاع عام1756م انتزاع دمشق من أسعد باشا.

وفي عهد أسعد باشا اتسع نفوذ أسرة آل العظم بتوالي أفرادها باشاوية دمشق وباستقرار الأمور في أيديهم تولى أسعد باشا ايالة حلب منذ عام 1755م إلى جانب أنه حصل على موافقة السلطان بتعيين أقاربه وأتباعه في بشاويات طرابلس وصيدا [1]، وهم: إبراهيم باشا وسعد باشا ومصطفى باشا، ولكن الأمور لم تدم لهذه الأسرة فسرعان ما تغيرت القوة الداعمة لهم في الأستانة إثر وفاة محمود الأول عام 1754م، وأعتلى السلطان عثمان باشا الحكم الذي ازدادت في عهده سلطة الكزلار أغا * أحمد أبوقوف الذي كان عدوا شخصيا لأسعد باشا العظم فسعى أعداءه لتدبير المكيدة لآل العظم بشكل خاص، مستغلين تعرض قافلة الحج الشامي للاعتداء من بدو بني صخر عام 1757م فأوغروا صدر السلطان على أسعد باشا الذي أصدر فرماناً لعزله [2].

قام السلطان العثماني بمصادرة أملاك أسعد باشا وثروته الكبيرة التي كانت الدولة في حاجة لها، وكان القضاء على أسعد باشا ضربة كبيرة لنفوذ آل العظم لم يستطيع أحد من هذه الأسرة أن يعود بها إلى درجة التي وصلت إليها في عهد أسعد باشا بسبب ضعف الأسرة من ناحية وبسبب انهيار سلطة ولاة الشام عامة تجاه ازدياد نفوذ و قوة ظاهر العمر وعل بك الكبير المملوكي ثم أحمد باشا الجزار من ناحية أخرى [3].

ثالثا: حركة أحمد الجزار بفلسطين.

ولد أحمد الجزار في البوسنة وانتهى به المطاف مملوكا من مماليك علي بك الكبير في القاهرة، وكان ذا دهاء كبير و قسوة الأمر الذي دفع علي بك إلى تعينه جلادا في بلاطه، لكن لم يلبث طويلا إذ أعتقه ولقبه بالجزار لشدته المتناهية [4]، فر أحمد الجزار من مصر متنكرا في زي المغاربة وذهب إلى استانبول ، وكانت الدوائر الحاكمة هناك تتعامل مع أمثاله ممن يخونون حكام الولايات الثائرة ثم رحل إلى بلاد الشام واضعا خدماته أمام كل من يريد الاستعانة به حتى وصل إل دير القمر، وكان فيها يوسف الشهابي، فعينه على بيروت حيث قوى أمره فيها، وأخذ يبتاع المغاربة حتى صار له قوة منهم، فخرج على الأمير وحاول أن يستقيل عنه [5]، وقد

---

* ينتمي إلى اسرة تحمل اسم جدهم الأكبر وهو الحاج مكي بن الحاج محمد،الفخر، وهو الحسين بن مكي بن محمد خلف والده على سنجق القدس1756، في 1762م، عين على ولاية مرعشجنوب شرق الأناضول، ومنح رتبة الوزارة، في1765/09/12 قتل على يد عرب بني صقر والوحيدات الذين هاجموا خان يونس في غزة، انظر، خالد صافي، المرجع السابق، ص ص 36، 51.

[1] رأفت الشيخ عنيمي، المرجع السابق، ص57.

* الكزلار أغا: إن كز كلمة عثمانية تعني فتاة وجمعها كزلار أي فتيات، وهي تعني حريم القصر السلطاني، والكزلار أغا هو الضابط المسؤول عن حريم القصر، نهاية القرن16م أزداد نفوذ الحريم في القصر تمتع برتبة وزارية كباشا بثلاثة أطواخ ولقب مشير، المرجع نفسه، ص 40.

[2] محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص70.

[3] هشام سوادي، المرجع السابق، ص57.

[4] محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص 74.

[5] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 182.

أدى أحمد الجزار خدمات عسكرية للدولة العثمانية ضد ظاهر العمر فكوفئ بتعينه حاكما على صيدا عام 1776م [1]. استطاع أحمد الجزار أن ينتزع بيروت من الأمير يوسف الشهابي، وقد اتخذ من عكا مقرا له وكان يقيم فيها حوالي عشرة شهور ويقيم المدة الباقية في صيدا التي كانت مركز الولاية الرسمي [2].

عمل أحمد الجزار جاهدا على إعادة بناء حصون عكا، وقد سخر السكان للعمل من أجل ذلك، وأنشأ أسطولا وكتيبه من المشاة المرتزقة من المغاربة قوامها ألف رجل، وفرقة من الخيالة تعدادها ثمانمائة رجل من البوسنة وألبانيا، وقد أحتكر تجارة البلاد عاملا على زيادة دخله لكي يستطيع تأمين النفقات العسكرية [3]، وكذلك فرض الضرائب التي أرهقت كاهل الفلاحين ومصادرة أموال التجار والأجانب ما جعل الكثير من الفلاحين يهاجرون قراهم[4].

تولى أحمد الجزار دمشق ووقع بينه وبين يوسف الشهابي وقعة في نقار السعديات بين صيدا وبيروت لم يسلم من جماعة الشهابي إلا قليل ثم وقعت بينه وبين عسكر لبنان عدة وقائع انتصر فيها على أهل الجبل، وداهم بعسكره بعلبك، زحلة، وقوي الجزار بمجيء ستمائة فارس سلموا من القتل كانت الدولة قد أمرت بقتلهم، فقوى جيشه وأمتد نفوذه إلى بعلبك والبقاع[5].

وعند توليته على باشاوية دمشق عام 1785م يضيف لنا ميخائيل الدمشقي سوء الحالة في دمشق على أيام الجزار فيقول : "وفي الحقيقة أن مدة حكم أحمد الجزار بالشام نحو خمس سنوات ما ارتاحت الناس و لا شهر واحدا من طلب قرش ظلما ...ثم يطرح بضائع متنوعة ينهبها من جهات ويطرحها بأسعار زائدة ، ثم حوادث كثيرة مقهرة من أنواع كثيرة ...ولذلك عند ما عزل الجزار عن دمشق عام 1790م حصل الفرح والسرور في قلوب الناس بإزالة تلك الأحكام الكثيفة الباهضة حتى أنه من سرور الناس زينوا البلد بنوع مستغرب، وتنظر الشمع شاعلا بالدكاكين في وسط النهار."

وقد بلغ احمد الجزار ذروة مجده في عام 1899م بعد أن أوقف زحف نابليون بونابرت الذي بلغ أبواب عاصمته[6]، لأن أخباره وصلت إلى الجزار، واخذ يستعد محصنا المدينة وزودها بمختلف المدافع و القنابل والبنادق وغيرها من أدوات الحرب.

أقام نابليون مقر قيادته على جبل الكرمل، ولما اخذ الأسطول الفرنسي يدنوا من رأس الكرمل تمكن الأسطول الانجليزي بقيادة سميث سيدني أن يسبق الأسطول الفرنسي، فاستولى على ست سفن ولم تنج إلا سفينة واحدة كانت تنقل أوراق بونابرت الخاصة .

---

[1] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 76.

[2] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 114.

[3] محمد عربي نخلة، المرجع السابق، ص 74.

[4] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 114.

[5] جميل بيضون ، المرجع السابق، ص 176.

[6] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 184.

وفي 20 مارس1789م اتخذ الجيش الفرنسي موقعه أمام عكا دون أن تكون لديه مدافع ضخمة للحصار، ولما أعطى نابليون الإشارة بالهجوم يوم 28 مارس، رد مقاومو عكا بنيران مضادة بلغ تدميرها حتى أنه لم تمر ساعتان فقد الفرنسيين أربعين مدفعيا بين جريح وقتيل و عطلت مدافعهم كلها ماعدا ثلاثة، وحاول نابليون العديد من المحاولات لكنها لم تجد نفعا لاحتلال عكا، فقرر نابليون الرحيل. فاصبح هذا أكبر أثر لدى السلطان العثماني، فارتفعت مكانته فلم تحاول الدولة أن تنغص عيشه، فظل يحكم المنطقة حتى 1804م سنة وفاته[1].

كان على العثمانيين لفرض سيطرتهم على بلاد الشام القضاء على سلطة المماليك التي كانت تسيطر على المنطقة، وبفضل معركة مرج دابق 1516م تمكنوا من بسط نفوذهم وإحكام سيطرتهم عليها، ولعل السياسة التي اتبعها العثمانيون في بلاد الشام كانت السبب في ظهور عدة محاولات للاستقلال عنها مثلتها بعض الشخصيات الفذة، والأسر القوية التي نجحت إلى حد ما من حكم بعض المناطق مدة معينة، وتعد هذه المحاولات بداية النهاية للتواجد العثماني في بلاد الشام.

[1] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 78.

الفصل الثاني :حركة ظاهر العمر(1733–1775م)أنموذجاً.

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن شخصية ظاهر العمر .

المبحث الثاني:توسعات الحركة.

الفصل الثاني: حركة ظاهر العمر(1733- 1775م) أنموذجاً.

قاد ظاهر العمر الزيداني خلال القرن 18م حركة انفصالية ضد الدولة العثمانية منتهزا فرصة ضعف الدولة العثمانية وانشغالها بحروبها في هذه الفترة ، وبدأ حركته الاستقلالية بتوسعاته في بلا د. فهل يا ترى سينجح هذا الرجل الطموح في تحقيق أهدافه؟

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن بظاهر العمر.

أولا:التعريف بالشيخ ظاهر العمر.

هو ظاهر بن عمر الزيداني، عربي الأصل من قبيلة بني زيدان النازلة في معرة النعمان بين دمشق وحلب [1]،حيث ينتسب آل ظاهر العمر إلى حمولة الزيادنة الذين هم من أعقاب الحسين بن علي [2] الذين استقروا في منطقة صفد بالقرب من بحيرة الحولة التي كانت تتبع أيالة صيدا من الناحية الإدارية، عملوا في الزراعة وحصل زيدان على إلتزام* طبرية عن والي صيدا، وبعد وفاته أصبح عمر شيخا على منطقة صفد عام 1698م ولما توفي عمر اتجهت أنظار أهالي صفد إلى ابنه ظاهر[3].

اختلفت الروايات حول تاريخ ولادة ظاهر العمر حيث يذكر جميل بيضون في كتابه تاريخ العرب الحديث: أنه ولد سنة 1106هـ الموافق ل 1695 [4]، ويذكر تيسير جبارة في كتابه: تاريخ فلسطين[5] مع المؤلف إسماعيل أحمد ياغي في كتابه : تاريخ العرب الحديث أن ولادته كانت عام 1689م [6]،كما ذكر ذاك المؤلف رأفت الشيخ غنيمي في كتابه : تاريخ العرب الحديث[7].

كما سبق الذكر اتجهت أنظار أهل طبرية وصفد إلى ظاهر العمر فاختاروه حاكما عليهم، واضطر محمد باشا والي صيدا إلى تثبيته عام 1733 نتيجة لحسن سمعته وتدبيره، وباستقرار ظاهر العمر في طبرية أخذ يوسع التزامه بضم البلاد العربية التي حولها شيئا فشيئا بموافقة والي صيدا الذي لم يكن يرفض طلبات ظاهر المدعمة بالهدايا، ولذلك أخذ بسهولة وعقبات جميع البلاد التي حولها ، حيث سعد أهل البلاد تلك بحكم ظاهر العمر لما أشتهر به من العدل والرحمة وقدرته على حمايتهم من أغارات العدو وحملات السلب والنهب[8].

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 108 .

[2] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 74 . أنظر، الملحق رقم (10)، ص 65.

* هو طريقة لجمع ضريبة العشر في الدولة العثمانية خلال القرنيين 17_18م، أنظر، عبود الصباغ، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر، ط1، تح، عبد الكريم محافظة،عصام مصطفى هزايمه، دار الكندي، أربد، الأردن، 1999م، ص 22.

[3] محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص 71 .

[4] جميل بيضون ، المرجع السابق ،ص 74.

[5] تيسير جبارة ،تاريخ فلسطين، ط 1، دار الشروق، عمان، الاردن، 1998م، ص 24.

[6] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 109.

[7] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 61.

[8] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 61.

أما عن أوصاف ظاهر العمر فيذكر عبود الصباغ: أنه كان طويل القامة واسع الوجه شعره عسلي اللون[1].

كان ظاهر العمر حاكما مطلقا محبا للخير، قطع دابر التم .رد، ونشط الزراعة، وقد اتخذ مبدأ التسامح مع النصارى، واشتهر عهده بالامان والاستقرار كما وصفه بعض المؤلفون، حتى اذا سافرت المرأة وهي تحمل ذهبا لن يسرقها أحد في الطريق ولا تخاف على نفسها شيئا[2].

"كما أشتهر بالأخلاق و الرحمة والشجاعة والمهارة والذكاء وتأدب بالآداب العربية والثقافة الإسلامية" [3].

ونتيجة لصفات ظاهر فقد ذاع صيته في فلسطين حتى أصبحت شعوب البلدان المختلفة تطلب ولايته عليهم ليرد عليهم ظلم حكامهم و ملتزميهم *، مما أوغز صدور هؤلاء الحكام والملتزمين ضد ظاهر وأصبح هدفا لمؤامراتهم، فتحالفوا مع الدولة العثمانية و باشاوات الشام ضد ظاهر العمر، و عندما تأزمت الأمور بين الطرفين[4] وطد ظاهر العمر حكمه في البلاد حيث اقر الأمن وضرب على أيدي العابثين به بشدة متناهية، متناهية، حيث وسع نفوذه، واستمال شيوخ القبائل، ووطد علاقاته مع جيرانه الشيعة في لبنان الجنوبي وعقد معهم معاهدة دفاعية هجومية، كما اتبع سياسة التسامح الديني فأشرك النصارى في الحكم.

توجه اهتمام ظاهر كذلك إلى الجانب الاقتصادي فشجع على زراعة القمح، القطن، التوت، وتربية دودة القز وصناعة الحرير، كما أعفى الفلاحين من الضرائب في السنين القاحلة وكان يقدم لهم البذور، ونشط التجارة وأقام علاقات تجارية وودية مع التجار الفرنسيين كما شجعهم ليأتوا بتجارتهم إلى الموانئ التابعة له، و لاسيما عكا التي أصبحت الولاية[5].

ثانيا: نشأته.

ينتمي الشيخ ظاهر العمر إلى قبيلة الزيادنة، ارتحلت أسرته إلى بلاد الشام في أواخر القرن السابع عشر ميلادي، و كان كبيرهم يسمى علي جد ظاهر العمر، وقد امتازت هذه الأسرة بنشاط كبير في المجال التجارة، وكان من تجارهم ابن كبير العائلة و هو عمر والد ظاهر اشتهر بتجارته وكثرة رحلاته إلى الشام وحلب، واستطاع أن يجمع من التجارة أموالا كثيرة فظهرت أسرته لغناها و أصبحت موضع حسد من بعض ضعاف بني أسد العرب مما جعل عمر يفكر في الرحيل وقد أرتحل إلى طبرية، وكان عمر ظاهر العمر حوالي عام وقد استطاع كبير الزيادنة في فترة قصيرة أن يتقدم على جميع الفلاحين في طبرية حيث فأخذ التزامها من وزير

---

[1] عبود الصباغ، المصدر السابق، ص 111 .

[2] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 75.

[3] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 109.

* مفردها ملتزم وهو الشخص الذي يلتزم بحصة من الأراضي الزراعية، ويدفع الضرائب الأميرية المقررة عليها مقدما ، ويقوم هو بجمع الضرائب المقررة بهامش ربح يحدد، ويسمى الفائض، أنظر، عبد الرحمان ابن حسن الجبرتي عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج1 ، تح ، عبد الرحيم عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م، ص 50.

[4] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 62.

[5] محمد عبد الله عودة، المرجع السابق، ص 42.

صيدا بأمر من أمير جبل الدروز بشير الأول بن حسن الشهابي وصار كل سنة يدفع مال الميري * عن يد أمير جبل الدروز فولد له ثلاثة أولاد عمر، علي، وشحطة.

بعد فترة توفي والدهم، وكان عمر أكبر أخوته حيث أخذ التزام طبرية بعد والده، أما علي بعد أن مات أبيه بمدة أنتقل إلى الساحل، وسكن في الدامون ** والتزمها . أي حكمها . كذلك و لكن باسم أخيه عمر.أما شحطة بقي عند أخيه عم ، فولد إلى علي ولد وسماه محمد، أما عمر له أربعة أولاد سعد، يوسف، صالح وظاهر وبنت اسمها شمه تزوجها ابن علي، وشمه هذه كانت أخت ظاهر من أمه .

ولما توفي عمر فلم يرضوا سعد وصالح أن يخرجوا الالتزام باسمهم بل أخرج .وه باسم أخيهم ظ ـاهر على طبرية والدامون التي كانت عند ابن عمه محمد لأن الأخير فعل مثل والده فلم يشأ أن يخرج الالتزام باسمه بل أخرجه باسم ابن عم ـه ظاهر و كان يأخذ الأم ـر من يد ظاهر ومال المي ـري يدفعه إلى ظاهر والأخي ـر يدفعه إلى الدولة العثمانية، فصار الاسم إلى ظاهر عند الدولة و المشيخة له عن ـد الفلاحين، وكان عمره في ذلك الوقت أربعة عشر سنة [1].

ولم يقتصر الشيخ عمر والد ظاهر على التزام طبرية بل تعداها إلى صفد وهذا يعود إلى العلاقة التي تربط الزيادنة بآل شهاب مما ساعد على إثبات كفاءة عمر أمام الأمير الشهابي الذي وضعه مساعدا لنسيبه الأمير بشير الشهابي الأمير منصور في ولايته صفد، وبقي مساعد للأمير حتى توفي منصور سنة 1702م بعدها آلت الأمور في صفد إلى الشيخ عمر وتم هذا بموافقة الأمير الشهابي وكفالته لشيخ عمر بأن يصبح شيخا على صفد، وهناك رواية للأمير حيدر الشهابي في مخطوط تاريخي بأن ظاهر تولى عكا في حياة أبيه ويكون ذلك بين عامي (1702 . 1703 م)

ونلاحـظ أن الشيـخ عمر والد ظـاهر لم يشغـله نشاطـه الكبير عن صفات الحميدة كالكـرم، وحسن الضيافة بالإضافة إلى أن الشيخ عمر اهتم بتعليم أبنائه فوضع ظاهر عند أحد المشايخ واسمه عبد القادر الحفناوي ليعلمه القراءة والكتابة وبعد وفاة الشيخ عمر نجد أن ابنه الكبير سعد استمر في الكرم والضيافة بأرضه، واستمر أيضا في إكمال مسيرة والده في نشاطه ورعايته للأسرة، والاهتمام بأخيه ظاهر العمر وتربيته وتعليمه هو وأولاد عمه، وهكذا فإن صفات الكرم والزعامة نجدها قد تأصلت في ظاهر من خلال والده وأخيه، بالإضافة إلى كل هذه الظروف التي جعلت من الأسرة التي نشأ فيها ظاهر أسرة متميزة بالزعامة والكرم فإننا نجد أن أسرة الزيادنة قد وضعت ظاهر العمر موضع الرجل الكبير لعائلته بعد وفاة والد الشيخ ظاهر على

* وهي نسبة إلى لفظة أمير، وهي اختصار للتعبير المالي للمال الميري إي ضريبة، و الميري هو المال المفروض على الأرزاق والأعناق لحساب خزينة الدولة العثمانية ، وهي ضريبة تقوم على ضريبة العشر، أنظر، عبود الصباغ، المصدر السابق، ص22.

** قرية تقع في الجنوب الشرقي من عكا، أنظر، المصدر نفسه، ص 23.

[1] المصدر نفسه، ص ص23، 24.

الرغم من أن هناك في عائلته من هو أكبر منه سنا من إخوته فنجد أن إخوة ظاهر، سعيد ويوسف وصالح قد أجمعوا أن يكون الالتزام باسم ظاهر.

فمن هذا المنطلق لم يكن ظاهر يثير اهتمام أسرته فقط بل كان محل اهتمام الخارجين عنها أيضا فنجد أن ذكائه أثار اهتمام الشيخ عبد الغفار الشويكي الذي أوصى سعد أخوه بأن يهتم بظاهر العمر [1]

المبحث الثاني: توسعات ظاهر العمر.

أولا: بداية توسعات ظاهر العمر من طبرية.

بدأ ظاهر العمر محاولة أستقلاله الفعلي ضد الأتراك من طبرية، اتبع في ذلك طريقين أولهما: استمالة أهل القرى إليه وتوسيع رقعـة التزامه على حسابهم، وثانيهما: البقاء على علاقات طيبة م ـع وزير صيدا ودفعـه الأمـوال الميرية في موعـدها، وصارت قوات ظاهر العمر كل سنة تقوى عن أخرى، حيث شرع يحارب مشايخ الفلاحين الذين كانوا بالقرب منه، ويأخذ بلادهم ويضمها لدولته، دون الرجوع أحيانا إلى والي صيدا، أو أمير جبل الدروز الشهابي لأنه اشتهر بالقوة والمال، إضافة إلى إن ابن عمه محمد الذي كان ساكن بالدامون كذلك صار يتقوى في الساحل و أخذ شفا عمرو وما حولها وجعلها مركز له [2].

كانت بلاد الشام تابعة لنفوذ آل العظم، وهم حكام محليون في دمشق عينهم السلطان العثماني لإدارة بلاد الشام، وفي زمن سليمان باشا العظم كان ظاهر العمر ـفي مركزه صفدـ يقوم تدريجيا بتوسيع نفوذه على حساب آل العظم، فقد اعتدى على زعماء منطقة نابلس وهم من آل ماضي، وآل جرار، وهؤلاء كانوا تابعين لولاية الشام التي كان رئيسها سليمان باشا العظم، أما ظاهر العمر فكان تابعا لولاية صيدا [3] واستطاع الاستيلاء عليها عام 1735م [4]كما استولى على الرملة ويافا وصفد عام 1739م من ملتزمها الذي يدعى محمد نافع وأخذها بالاحتيال والوعد والوعيد إلى أن تنازل عنها وتولاها وأحضر تقريرها من وزير صيدا [5].

استعان سليمان باشا العظم ببدو بني صقر *وهم من أعداء ظاهر العمر، وهاجموا ظاهر، واستطاع سليمان باشا في هذه الحملة أسر أخ ظاهر العمر و اعدم في دمشق، وأبدى ظاهر العمر ارتياحا عندما عزل سليمان باشا عن ولاية الشام عام 1738م.

وعندما رجع سليمان باشا العظم للمرة الثانية إلى الحكم في ولاية الشام جهز حملة عسكرية بناء على السلطان العثماني لمحاربة ظاهر العمر، وكان مركزه في صفد شمالي فلسطين ويبدو أن السلطان العثماني طلب

---

[1] عبود الصباغ، المصدر السابق،ص 23.

[2] المصدر نفسه، ص ص30، 31.

[3] تيسير جبارة، المرجع السابق، ص 26.

[4] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 176.

[5] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 62 .

* عشيرة يعود أصلها إلى السردية وهم بن عشائر حوران وهم من أعقاب الصحـابي المقداد بن الأسود وهم أكبـر وأقوى القبائـل البدوية في منطقـة الجليل، أنظر، عبود الصباغ، المرجع السابق، ص .31

من والي الشام تأديب ظاهر لأنه لم يدفع أموال الميري لوالي صيدا بانتظام، وهكذا سارت الحملة من دمشق بقيادة والي الشام سليمان باشا العظم يساعده عرب بني صقر وجيش الأمير ملحم الشهابي أمير جبل الدورز نظرا لعدائه لظاهر العمر و التقت هذه الجيوش في لوبية قرب طبرية، وتوفي سليمان باشا قائد الحملة في القرية عام 1743م، وبذلك تنفس ظاهر الصعداء مرة ثانية.[1]

من ناحية أخرى اتجه ظاهر العمر إلى المتاولة وهم قوم من الشيعة وبلادهم بشارة بين جبل الدورز الشوف وبلاد صفد بغية السيطرة على بلادهم، ولكنهم رفضوا التنازل عن بلادهم وأنذروه بالحرب، فحاربهم وتمكن من هزيمتهم بالمكر والخديعة وأخذ بلادهم عام 1742م وحصل على التزامها من باشا صيدا، ثم تحالف مع المتاولة في صراعه ضد البشوات العثمانيين[2].

وبعد وفاة سليمان باشا العظم عين حاكما لولاية الشام أسعد باشا العظم فانشغل هذا الأخير بالحوادث المحلية والداخلية، فاستفاد ظاهر من هذه الفرصة وأخذ يوطد دعائمه ويقوي نفسه في منطقة صفد، وأنشغل أسعد باشا العظم أيضا في حروبه مع أمير جبل الدورز بسبب مماطلته في دفع مال الميري وتعديه على منطقة البقاع التابعة لوالي الشام ، وفي هذه الأثناء حصل ظاهر العمر من والي صيدا على التزام عكا عام 1746م[3].

ثانيا:استيلاء ظاهر العمر على عكا.

أدرك ظاهر العمر أهمية السيطرة على الساحل ليؤمن له نقطة الاتصال بالعالم الخارجي، فلا تظل حركته محصور ولذا تقدم نحو عكا التي كانت تتمتع بموقع حربي ممتاز [4]. بعد الاستيلاء عليها شرع في عمارة سورها وعمره بعجلة قبل أن يحضر الوزير من الحج [5]، وبدأ بتحصين المدينة وجعلها مقرا له واستخدمها لتصدير الحرير الحرير والقطن والقمح وغيرها من منتجات فلسطين إلى الأسواق الخارجية[6].

أخذ ظاهر العمر يوسع منطقة نفوذه فحصل مثلا على التزام حيفا التي كانت تابعة لولاية الشام، ونتيجة لذلك أطلق على ظاهر العمر ألقاب كثيرة منها ضابط عكا وبلادها، وضابط بلاد الجليل [7]. وكانت حيفا ضرورية لسلامة ظاهر وبلاده وذلك لعدة أسباب:

_لإقرار الأمن في الخليج الذي كان مأوى للقراصنة الأوروبيين.

_لإحكام السيطرة على جبل الكرمل ومنافذه.

1تيسير جبارة، المرجع السابق، ص 25.

[2] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 63.

[3] تيسير جبارة، المرجع السابق، ص 25.

[4] محمد عبد الله عودة، المرجع السابق، ص 42.

[5] عبود الصباغ، المصدر السابق، ص 42.

[6] حتي فليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، المرجع السابق، ص 336.

[7] تيسير جبارة، المرجع السابق، ص 26.

_للسيطرة على الطريق الساحلي العسكري الذي يربط حيفا بعكا وتأمين سلامة الطرق بين شمال وجنوب البلاد وأخذ بعدها الطيرة و الطنطورة من ايالة الشام أيضا فاشتدت العداوة فيما بينه وبين وزير الشام.[1]

وكان ظاهر العمر يهتم اهتماما بالغا بالناحية الاقتصادية، وذلك لتدعيم قواته وميزانيته لأنه كان يعتمد على الفلاحين و يجمع الضرائب منهم، وكانت منطقة الجليل بشمال فلسطين تشتهر بزراعة القطن، وكان يستفيد منها التجار الفرنسيين، لدرجة أنهم كانوا يقرضون للفلاحين أموالا كثيرة يستردونها وقت جمع القطن، وبذلك أحتكر الفرنسيون القطن الفلسطيني حتى قبل حصاده، وهذه الحالة الاقتصادية الزاهر في فلسطين شجعت المخاتير على طاعة ظاهر العمر علما أن كثير من القرى والمدن كانت تابعة لوالي الشام [2].انضم كثير من شباب القرى إلى جيش ظاهر العمر وحاربوا والي الشام،كما ساعد هذا التطور الاقتصادي على نمو بعض المدن الفلسطينية مثل عكا، والناصرة، وصفد، و شفا عمرو وغيرها من المدن. ونتيجة لقوة وشهرة ظاهر أخذ يتحكم في الأمور الاقتصادية فمثلا كان يحدد سعر القطن، والسلع الأخرى التي يصدرها للتجار الفرنسيين، وكان يفرض الأسعار العالية مما جعل الفرنسيون يشكونه إلى السلطان العثماني، ول ـكن السلطان لم يكن ليهتم طالما أن ظاهر يدفع أموال المي ـري بانتظام، وقد أدى هذا الأمر إلى خضوع الفرنسيون لظاهر وجعلهم يعقدون معه معاهدة عام1757م بدلا من عقدها مع السلطان العثماني.

لما وصل إلى حكم ولاية الشام عثمان باشا حاول عدة مرات محاصرة ظاهر في منطقة حيفا، وقلعة الطرطورة جنوب حيفا في المنطقة الشمالية من فلسطين، ولكن عثمان باشا فشل في القضاء على ظاهر لكنه نجح في احتلال حيفا، فقام ظاهر العمر واستردها بالقوة من عثمان باشا.

وبالرغم من قوة ظاهر العمر في صفد وعكا فقد حدثت صراعات داخلية بينه وبين أبنائه ، بيد أن الأبناء كانوا منقسمون على أنفسهم أيضا.كان الهدف من وراءها توسيع نفوذ كل فرد فيهم على حساب أخيه، وكان والدهم يقوم بالإصلاح بينهم، ولكن كان يصطدم معهم، وقام بتعينهم على مناطق واقعة تحت سيطرته [3].

فعين صليبي الأكبر على طبرية، وصفد أعطاها إلى علي، وعثمان شفا عمرو ثم أخذ ها منه لسبب أنه كان دائما يكرهه وكان ضده دائما، وكان يقلل من قيمته، و صفورية أعطاها لسعيد أما أحمد كان دائما عند أخيه الأكبر صليبي ، ثم بعد ذلك حكم جبل عجلون الذي كان من أبالة الشام، وصالح وسعد الدين، وعباس كانوا صغار و استمر الوضع حتى عام 1773م.

[1] عبود الصباغ، المصدر السابق، ص ص 38، 39.

[2] تيسر جبارة، المرجع السابق، ص 26.

[3] تيسير جبارة، المرجع السابق، ص27.

وأخيرا تم الصلح بين ظاهر العمر وأبنائه، فقام والي دمشق عثمان باشا بمحاولة تطويق هم لكنه فشل في ذلك، وهكذا بقي ظاهر العمر قويا في شمال فلسطين[1].

نتيجة للذكاء والحنكة السياسية التي كان يتمتع بها ظاهر الع م ر الزيداني اتجهت أنظار أهالي طبرية وصفد له، رغبة في حكمه لهم ، ومن طبرية بدأ توسعاته إلى أن تم له الاستيلاء على عكا التي اتخذها مقرا له، وقام بتحصينها لأنه أدرك أهمية السيطرة على الساحل ليؤمن له نقطة الاتصال بالعالم الخارجي.

[1] عبود الصباغ، المصدر السابق، ص 40 .

الفصل الثالث:

علاقات ظاهر العمر ونهاية حركته

المبحث الأول: علاقات ظاهر العمر الداخلية والخارجية.

المبحث الثاني: نهاية ظاهر وتقييم حركته.

الفصل الثالث: علاقات ظاهر العمر ونهاية الحركة.

كان ظاهر العمر على علاقة جيدة مع الدولة العثمانية ، لكن سرعان ما ساءت هذه العلاقات إثر إعلان استقلاله عن الدولة وتحالفه مع علي بك الكبير واستنجاده بالروس وغيرهم من مختلف الدول الأوربية. اذا بما تميزت علاقات ظاهر العمر بتلك القوى المختلفة؟ وكيف ساهمت في دفع حركته؟.

المبحث الأول: علاقات ظاهر العمر الداخلية والخارجية.

أولا: علاقة ظاهر العمر مع الدولة العثمانية.

تظهر علاقة ظاهر العمر بالدولة العثمانية في علاقته بملتزميها أو ممثليها في ايالة بلاد الشام، فنتيجة لتوسع التزامه، وقوة شوكته، وكذلك الثقة الملتزمين القدامى لباشا صيدا ضد ظـــاهر العمـــر من ناحية، وممثلي الدولة العثمانية من ناحية أخرى.[1] وقد تجسدت تلك العلاقة بشكل كبير في شخصية عثمان باشا الكرجي*.

دعم ظاهر العمر مركزه في الجليل والأقاليم الساحلية في فلسطين، وذلك بعد التوسعات التي قام بها، وافقت الحكومة العثمانية رسميا على ما حصل عليه مؤخرا، إذ رفضت طلب عثمان باشا الصادق والي دمشق بالسماح له بإعداد حملة ضد ظاهر. وكان ظاهر العمر يحظى في ذلك الوقت بتأييد موظف كبير في بلاط السلطان، وتحول الخلاف بين عثمان الصادق وظاهر العمر إلى المحكمة الشرعية، ولقد حكم القاضي لصالح ظاهر لعدة ظروف، إذ أن المحكمة كانت في مدينة عكا يسيطر عليها ظاهر العمر، هذا بالإضافة إلى أن الذي تولى القضية وناقشها وزيره إبراهيم الصباغ .

ولكن سرعان ما تغيرت الأمور عند وفاة صديق ظاهر العمر في استانبول [2]. بدأ عثمان باشا الصادق يدفع الرشاوى من أجل تأليف اتحاد إقليمي أو قوة متحدة ضد ظاهر العمر، وباركتهما السلطة المركزية العثمانية، فاختل بذلك نظام توازن القوى الإقليمية في جنوبي بلاد الشام في غير صالح دويلة ظاهر العمر[3].

أصدر السلطان العثماني أمرا لظاهر العمر بالتخلي عن صيدا وتسليمها للوالي الجديد المدعو درويش باشا بن عثمان باشا الصادق والي دمشق في الوقت الذي تولى محمد باشا الابن الثاني لعثمان باشا ولاية طرابلس، ولما كان السلطان يدرك أن ظاهر العمر لن يتخلى بسهولة عن صيدا فقد أصدر أمرا للباشاوات الثلاث: عثمان باشا الصادق وولديه درويش باشا، محمد باشا، ومعهم باشا حلب، وأمير الدروز للقضاء على ظاهر[4].

ويذكر المؤرخ أبو طلال الفغالي في كتابه: "معارك العرب منذ ما قبل الإسلام حتى حروب الخليج، ج 19، ان الباب العالي طلب من بعض باشاوات الشام ومن الأمير يوسف الاستعداد لمهاجمة صيدا، وبالفعل خلف

---

[1] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 63 .

* هو عثمان باشا بن عبد الله باشا الكرجي الملقب بالصادق، وهو مملوك كرجي جورجي الأصل، كان كتخدا لأسعد باشا العظم في دمشق زهاء أحدى عشر سنة من 1760- 1774م وقبل ذلك حاكما على حماة ووواليا على طرابلس، أنظر، عبود الصباغ، المرجع السابق، ص 42 .

[2] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص177.

[3] سيار الجمل، المرجع السابق، ص ص268، 269 .

[4] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص ص 65، 66 .

عثمان باشا المصري كبير عسكر عربستان، عثمان باشا الكرجي على ولاية الشام، وفور وصوله إليها أعطى الأمير يوسف أمرا بجمع قواته بقصد محاربة ظاهر العمر، وأحزابه الشيعية، ووالیه خلیل باشا والي القدس، وبصحبته أحمد باشا الجزار الذي سيلعب دورا مع يوسف الشهابي و معهما الآلات الحربية والمدافع والذخائر ...، ويقال أن قوات هذا الحلف وصلت 30ألف مقاتل[1] ...".

استطاع ظاهر العمر هزيمة القوات المتحالفة المعادية له هزيمة كبيرة، ورجع إلى عكا منتصرا، ثم تابع ظاهر انتصاراته بطرد درويش باشا من صيدا وتولية نائب عن ظاهر العمر فيها، بعد أن حصنها ظاهر، فوسع إمارته كما قلنا سابقا، وضم يافا والقدس والخليل تلبية لطلبات أهلها، وأرسل للدولة العثمانية يطلب موافقتها فأضطر السلطان العثماني إلى الموافقة على ذلك نظير مبلغ كبير من المال قدر بخمسمائة كيس .

ونتيجة لكل الظروف والملابسات التي واجهت ظاهر العمر، ومفاد ذلك بأن العلاقات بينه وبين الدولة العثمانية أخذت تسوء على إثر تحالف ظاهر العمر مع علي بك الكبير ضد الدولة العثمانية في أوائل عام 1770م[2]، ورغبت ظاهر العمر في الاستقلال التام عن الدولة العثمانية، وقد بدأها بمحاولاته التوسعية[3].

ثانيا: علاقة ظاهر العمر مع علي بك الكبير.

بدأت صلة ظاهر العمر مع علي بك* الكبير المملوكي في مصر حوالي عام 1770م عندما نفى علي بك معلم دواوين مصر الذي يدعى ميخائيل الجمل والذي قدم إلى عكا ونزل في ضيافة إبراهيم الصباغ وزير الشيخ ظاهر، وقد سر ظاهر العمر ما سمعه من أخبار مصر و أميرها علي بك الذي جهر بالعداء للدولة العثمانية والخروج عن طاعتها . انتهز ظاهر العمر طلب ميخائيل الجمل شفاعته عند علي بك لكي يعيده إلى وظيفته في مصر و يرد عليه ماله الذي صادره منه لكي يقيم علاقة وثيقة مع علي بك، حيث تحالف ظاهر العمر مع علي بك ضد الدولة العثمانية خاصة أن جواسيسه في اسطنبول كانوا يخبرونه بأن الحكومة العثمانية تحرض عثمان باشا والي الشام —دمشق– على ظاهر لاغتياله و القضاء عليه .

وقد كان قبول علي بك شفاعة ظاهر في ميخائيل بداية لعلاقة وثيقة بين الرجلين استمرت على قوتها حتى قضي عليها، وكان رد علي بك مشجعا ل لشيخ ظاهر، حيث حثه على الوقوف ضد مؤامرات الحكومة العثمانية و أن يكون حذرا من مكر رجالها، وأبدى علي بك استعداده لنجدة الشيخ ظاهر العمر ومساعدته ضد باشا الشام عثمان، وكان ذلك سببا في قوة عزيمة ظاهر العمر[4].

---

[1] أبو طلال الفغالي، معارك العرب منذ ما قبل الإسلام حتى الحروب الخليج ، عصر الإمارة الشهابية ، مج 19، ط 1، دار نوبليس، بيروت ،2007 م، ص 93 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 112 .

[3] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 75 .

* مملوك جركسي الأصل من بلاد القفقاس اسمه الأصلي يوسف بن دارد ، وقع في سنة 1741م بأيدي عصابة من اللصوص وبيع و نقل إلى القاهرة ودخل في خدمة إبراهيم بك، واعتناق الإسلام وتسمى بعلي بك، أنظر، عبود الصباغ، المرجع السابق، ص 54 .

[4] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 66 . أنظر ، الملحق رقم (11).

وقد وجد علي بك في ظاهر العمر حليفا قويا له ضد عثمان باشا الوالي العثماني في دمشق المناهض لظاهر العمر ولسياسة علي بك، وكانت قوات عثمان باشا خطيرة جدا على مستقبل الرجلين إذ كان نفوذه يمتد إلى الحجاز وكان أولاده يحكمون في صيدا وطرابلس وبالتالي كانت مشروعات علي بك وظاهر العمر تتوقف على إزالته[1].

وحاول عثمان باشا أن يهاجم ظاهر العمر بالاتفاق مع أمراء جبل الشوف فأرسل ظاهر يستنجد بوالي مصر علي بك، وكان هذا عزم على رفع لواء العصيان على الدولة العثمانية، ولما وصلت إليه رسالة الشيخ ظاهر جهز له ستة سناجق كبار وعلى رأسهم إسماعيل بك واصحبهم بعشرة الآلف من الغ ز والعربان والمغاربة وأمرهم أن يكون في طاعة الشيخ ظاهر وساروا إلى أراضي المز يريب في حوران، وكانوا نحو عشرين ألف لقتال عثمان باشا [2] فخرج إسماعيل باشا من مصر بأمر علي بك ووصل إلى غزة ، ومن ثم إلى الرملة، فلما بلغ عثمان باشا حضور إسماعيل بك إلى الرملة خرج من الشام لمحاربته، وبعد وصوله إلى يافا أرسل إلى عرب الصقر وهم أعداء ظاهر يطلب منهم أن يقطعوا الطريق من بلاد عكا إلى الرملة تكون من مرج بني عامر الى طريق نهر المقاطع لذلك أرسل إلى عرب الصقر ليقوموا بذلك.

فرجع إلى ظاهر وقال: له أن عرب الصقر يقطعون الطريق وبذلك اتجه ظاهر العمر بنفسه إلى الرملة ولما سمع عثمان باشا من وصول ظاهر العمر هرب إلى يافا وتتبع ظاهر أثاره إلى القاقون ومن شدة خوفه من ظاهر رمى مدافعه في البئر، ولما وصل ظاهر العمر إلى القاقون مرض، وطلب إبراهيم الصباغ من إسماعيل بك البقاء في مرج بني عامر بينما يطيب ظاهر وبعد أربعين يوما تعافى ظاهر من المرض وفي ذلك الوقت حلى فصل الشتاء ولم تعد الحرب ممكنة[3].

تخلص ظاهر العمر مؤقتا من تهديدات عثمان بك بفضل التعاون المصري فأنعم على سناجق مصر و اصحبهم بكتاب إلى علي بك يخبره بما وقع [4]، وفي خضم هذه الظروف أرسل السلطان العثماني جيش للقضاء على الحوادث الداخلية في بلاد الشام ، ولكن الجيش العثماني الذي وصل إلى دمشق فشل في دخولها، وكان علي بك قد بعث بحملة ثانية إلى الشام وكانت الحملة بقيادة أبو الذهب *عام 1771م[5].

---

[1] عبد العزيز نوار، النهضة العربية الحديثة، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د م،2002 م، ص 50.

[2] محمد كرد علي، خطط الشام،ج 2، ط 1، مكتبة النوري، دمشق، د ت، ص ص 290، 289 .

[3] عبود الصباغ، المصدر السابق، ص 63 .

[4] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 67 .

[*] هو محمد بك أبو الذهب بن عبد الله الخزندار الجركسي مملوك علي بك الكبير اشتراه في أوائل الستينات من القرن 18م، حوالي 1157هـ، تقلد منصب الخزندار، وحج مع سيدهسنة 1178هـ، وأصبح قائد القوات المصرية بعد أن أنفرد علي بك بالسلطة، لقب بابي الذهب لانه كان يفرق البقاشيش ذهبا على الفقراء. أنظر، عبود الصباغ، المصدر السابق، ص 63 . مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية 1517 ـ 1924م، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص 273 .

[5] تيسير جبارة، المرجع السابق، ص 23.

ذهب أبو الذهب على رأس جيش يضم حوالي ثلاثين ألفا لإخضاع بلاد الشام لأنه كان يعتبر هذه الولاية بعد خروجه من طاعة الدولة العثمانية عدوا قريبا ويخشى منه على نفسه وعلى صديقه ظاهر العمر، حيث اتحدت جيوش أبو الذهب مع جيوش الشيخ ظاهر [1]، وقال هذا الجبرتي: "أن محمد بك أبو الذهب لما وصل إلى الشام حضر إليه أولاد ظاهر العمر ومشايخ المتاولة و انضموا إلى عسكره فصار جيشا عظيما حوالي الستين ألفا [2]". فاستولوا على غزة، الرملة، نابلس، القدس، ويافا وصيدا عام 1772م، وذلك بمساعدة الأسطول الروسي [3].

بدأت الجيوش التقدم نحو دمشق، وكان عثمان باشا قد رجع من الحج فجمع العساكر لقتالهم لكنه انهزم فخيم أبو الذهب حول المدينة قاصدا حصارها، وأرسل إلى أهلها كتابا يشير فيه ا إلى ما فعله عثمان باشا من الظلم وأهانت الحجاج و الزوار وظلم المسافرين والتجار، وأنه يريد أن يطهر هذه الأرض منه و ذكرهم ما فعله بعلماء غزة في العام السابق من دفنهم تحت الأرض أحياء...، فخرج العلماء والعوام من أهل دمشق كافة إلى محمد أبو الذهب وطلبوا الأمان فأمنهم و أكرمهم، ودخل المدينة وجلس في دار الوزارة و نادى بالأمان، وكانت القلعة لا تز ال محاصرة فأمر بإطلاق المدافع عليها، وطلب المحاصرون الأمان فتسلم القلعة وتراجع عثمان باشا إلى حمص [4].

ويبدو أن التوازن الإقليم ي بدأ يميل لصالح قوى التحالف المصري الفلسطيني ضد المحليين العثمانيين باستقطاب علي بك لثمرة الصراع المرحلي متطلعا لتحقيق أهدافه في التوسع ضد الدولة العثمانية، وأفلح في خطته بالتعاون مع الروس ضد الأتراك، لكن مجرى الأحداث تغير فجأة، فقد سحب أبو الذهب جيشه من دمشق وعاد إلى مصر [5] بسبب اختلاف القادة المماليك المصريين في القاهرة، فهرب علي بك من مصر التجأ إلى ظاهر العمر في فلسطين وبقي أبو الذهب يحكم مصر، ومما ذكره اميل توما في كتابه: فلسطين في العهد العثماني" عن سبب رجوع أبو الذهب إلى مصر أنه عام 1771م بعد انتصار علي بك في سوريا نجح العثمانيون في رشوة قائد القوات المملوكية المصرية محمد أبو الذهب فانقلب على علي بك وعاد إلى مصر وبدأ الصراع بين الاثنين على السلطة في مصر [6]".

شرع أبو الذهب في النضال ضد علي بك فانحازت أكثرية البكوات المماليك إلى صفه ف انهزم علي بك سياسيا وعسكريا وفر لاجئا إلى حليفه ظاهر العمر في عكا سنة 1772م ، ويبدو أن العثمانيين قد نجحوا

---

[1] جرجي زيدان ، مصر العثمانية ، تح ، محمد حرب، دار الهلال، 1911م، ص 248 .

[2] محمد كرد علي، المرجع السابق، ص 290.

[3] جميل بيضون، المرجع السابق، ص 75 .

[4] محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص 290 .

[5] سيار الجمل، تكوين العرب الحديث، ط 1، دار الشروق، عمان ،1997م، ص 270 .

[6] تيسير جبارة، المرجع السابق، ص 29.

سياسيا في إحداث الانكسار المفاجئ [1]، وكان خروجه من مصر قبل دخول أبو الذهب بيوم واحد وفي معيته مدد يسير من الجند لا يبلغ ستة آلاف معظمهم من الخدم الذين لا يستطيعون الدفاع ولم يحمل معه من المال إلا ثمانين ألف ...،و نقل معه من الصيغ والحلي ما يساوي أربعة أضعاف لذلك دخل علي بك غزة ثم واصل السير حتى الرملة وهو في حالة من المرض الشديد[2].

وفي هذه الأثناء وصل إلى ميناء عكا أسطول روسي عقدوا مع علي بك تحالف و قدموا كلما يحتاج إليه من المؤن والذخائر، وكان في خدمة الأسطول الروسي فرقة من الألبانيين مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل، فأمدوه بهم، فلما رأى علي بك ما كان من نجدة الأسطول الروسي مع ما يمكن الحصول عليه من جنود الشيخ ظاهر عزم على مناوئة أبو الذهب لكنه لم يكن يستطيع ذلك بسبب مرضه، فعهد إلى علي بك الطنطاوي بعد ثلاثة أشهر أن يسير أولا لاسترجاع المدن السورية التي دخلت في حوزة أبو الذهب فساروا على صور وصيدا وقرى أخرى من سواحل سوريا كانت قد احتلتها الدولة العثمانية بعد انسحاب جنود أبو الذهب [3].

سار علي بك بنفسه بمن تبقى معه من الجنود إلى يافا وتمكن من استرجاعها بعد محاصرة دامت خمسة أشهر استولى أثنائها على غزة والرملة و اللد فأعاد يافا إلى ظاهر العمر عام 1773م، وجعل على اللد حسن بك الحداوي وعلى الرملة سليم بك [4].

أما القوات الروسية التي استنجد بها علي بك وظاهر العمر أرسلت إلى صيدا فأطلقت مدافعها على جيش الدولة العثمانية وجيش الأمير الشهابي وساق ظاهر العمر جيشه ومقداره عشرة الألف جندي والتقى بعساكر لبنان و الجيش العثماني في سهل الغازية، ونشبت الحرب فانهزم الجيش العثماني وقتل منه حوالي خمسمائة وتراجع إلى دمشق، أما المراكب الروسية فسارت إلى بيروت وملكت جانبا منها وأحرقت بعض الأبراج، فهربت الجيوش الشهابية من المدينة وخرج أهلها إلى البر، ونهبت المدينة ثم رحلت إلى عكا بعد أن تعهد حاكمها بدفع جزية سنوية للروس قدرتب 7500 قرش، وكان الروس قد أطلقوا على بيروت ستة آلاف مدفع دفعة واحدة. و قال المؤرخ حتى ظن الناس أن القيامة قامت وسمع صوت المدافع على ما قيل إلى قبة السيار فوق دمشق كالرعد القاصف. وقال أحد المؤرخين: "ضرب الروس بيروت ونهبوها في القرن 18م وكانت فيها بيوت أمراء الجبل و مشايخه وكانوا قد بنوا فيها خانات وقيصريات، وكان الفرنسيون يدعونها باريس الموارنة الصغرى وكثير من الموارنة كانوا قناصل لفرنسا"[5] .

---

[1] سيار الجمل، المرجع السابق، ص 270 .

[2] جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث، ج 2، دار المقتطف، مصر ، 1889م، ص 139.

[3] جرجي زيدان، مصر العثمانية، المرجع السابق، ص 251 .

[4] جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث، ج 2، المرجع السابق، ص 139.

[5] محمد كرد علي، المصدر السابق، ص 294.

أما ظاهر العمر فأخذ قسم كبير من جيش علي بك وأتجه لمحاربة الدورز الذين كانوا محاصرين صيدا ومعه المتاولة وحاربوهم وهزمهم، ورجعوا إلى عكا، وفي هذه الأوقات كان علي بك مريض.

أما عثمان باشا لما أبلغ الدولة العثمانية بأن ظاهر العمر هزمه وهزم الدروز قامت الدولة بعزله، وأرسلت في مكانه عثمان باشا الوكيل، وتولى أحمد الجزار بيروت بناءا على طلب الدروز، ونعني يوسف الشهابي خوفا من بطش ظاهر العمر[1].

وفي مدة إقامة علي بك في يافا عمل محمد أبو الذهب خدعة لعلي بك وراسله بأن يحضر إلى مصر، و مما جاء في الرسالة بأن محمد أبو الذهب دخل القاهرة حالما خرج هو منها، وسمى نفسه شيخ البلد...،وطلب منه الرجوع ليحكم البلاد لأنه هو منقذها الوحيد فلما علم علي بك بذلك خرج قاصدا القاهرة وذلك عام 1773م ومعه من الجنود ألفان وخمسمائة و انضمت إليه قوات ظاهر وجنود ابنه صليبي وصهره الشيخ كريم، وكان قد استأجر ثلاثة آلاف وخمسمائة من المغاربة، ولما اقترب علي بك من الصالحية [2] تقابل الجيشان جيش أبو الذهب وعلي بك الكبير و انتهت المعركة بفوز أبو الذهب وأسر علي بك وأربعة من ضباط الروس بعد أن قتل كل من كان معهم [3]، ورجع علي بك حيث توفي متأثرا بجروحه فقطع رأسه وسلم مع أربعة ضباط إلى الوالي العثماني خليل باشا الذي ارسلهم بدوره إلى القسطنطينية عام 1773م [4].

وبوفاة علي بك اضطر ظاهر العمر إلى مواجهة أعدائه بمفرده ضمن سلسلة من العمليات العسكرية مستفيدا من الحرب الروسية العثمانية والخلافات المحلية [5] بين عثمان باشا ويوسف الشهابي، وقد أزعج يوسف يوسف شهاب طول فترة احتلال أحمد الجزار لبيروت، ولكن توصل عن طريق عمه منصور وعقد تسوية مع ظاهر العمر وطلب مساعدته لطرد الجزار، وقد ساعدتهم الظروف بدرجة كبيرة إذ وصل الأسطول الروسي، وقام يوسف و منصور بدفع 200،000قرش للروس في نظير مساعدتهم في حصار بيروت فأعلنت استسلامها، وحاول ظاهر العمر إغراء الجزار بالدخول في خدمته كقائد لقواته ، ولكنه تخلص منه حيث رقي إلى رتبة باشا في دمشق[6].

---

[1] عبود الصباغ، المصدر السابق، ص 75 .

[2] جرجي زيدان، مصر العثمانية، المرجع السابق، ص 253 .

[3] محمد فريد بك المحامي، الدولة العثمانية، ج2، دار الجيل، ص 159.

[4] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ،العهد العثماني،ج 8، ط 14، المكتب الإسلامي، د م، 2002م، ص 151 .

[5] سيار الجمل، المرجع السابق، ص 270.

[6] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 179.

ثالثا: علاقته مع بعض الدول الأوربية.

انطلاقا من كون حركة الشيخ ظاهر حركة استقلالية جاهرت بالعداء للدولة العثمانية، وكان على صاحبها الظاهر أن يكون مستعدا دائما لملاقاة الدولة ورجالها بشوات الشام فكان يتحالف مع الأخرى وبصفة خاصة تلك التي تعادي الدولة العثمانية، ومن هذا المنطلق تحالف ظاهر مع روسيا وفرنسا واستعان بالأوربيين كالبحر وغيرهم لتدعيم إمارته لتقف ندا لند مع السلطة العثمانية .

فعن علاقته مع روسيا، قد بدأت بعد استيلاء علي بك وظاهر على عكا، حيث أرسلا إلى ملكة بريطانيا يسألانها مساعدتهما ضد الدولة العثمانية، وأن ترسل إليهم المراكب الحربية [1]، وتمت الاستجابة لطلبهم الذي كان مرابط في شرقي البحر المتوسط، وكان ذلك في 1770 بقيادة أرلوف *سر عسكر المسكوب بالبحر، فحضرت أربعة مراكب إلى مصر لأن علي بك هو الذي راسل روسيا لنجدته فلما وصلوا الإسكندرية علموا بأن علي بك خرج من مصر باتجاه ظاهر فلحق الأسطول به[2].

وهكذا قطع الحليفان علاقتهما بالباب العالي ونال مساعدة روسيا التي أرسلت أسطولها في شرقي البحر المتوسط وكأول حملة بحرية . برية مشتركة ،هدفها نجدة ظاهر في كانون الأول /ديسمبر عام 1770م، يقودها إسماعيل بك [3]، وبناءا على طلب الحليفين توجه الأسطول الروسي إلى بيروت لتحطيم السفن العثمانية ولإشغال الأمير يوسف الشهابي بالدفاع عنها [4]، فاستجاب قبطان المراكب الذي كان اسمه انطوني ورفيقه ريزو ريزو فاتجهت المراكب إلى بيروت وحرقت منها جانبا ونهبوها وملكت جانبا منها وأحرقت بعض الأبراج، فهربت الشهابية من المدينة وخرج أهلها إلى البر، إلا أن الحملة باءت بالفشل لأسباب سبق وأن ذكرناها[5] .

أما عن علاقته بالفرنسيين فكانت طيبة حيث كان محبوبا لديهم، تميزت بشكل كبير في إطاره التجاري، حيث أقام علاقات تجارية ودية مع التجار الفرنسيين ورغم ذلك نجد القنصل الفرنسي في 1772م يدعو حكومته إلى إمداد الدولة العثمانية وعدة سفن حربية تساعدها على استعادة بلاد الشام الخاضعة لحكم ظاهر حتى تستقر الأحوال في تلك البلاد وتنتعش التجارة [6]. حيث كان يمد الفرنسيين بالقمح والقطن حتى أصبح يحدد سعر المنتجات التي يشتريها التجار الفرنسيين، وكان يفرض الأسعار العالية مما جعلهم يشكونه إلى

1 محمد كرد علي، المرجع السابق، ص 293.

* الكونت الكسيس ارلوف ،قائد الأسطول الروسي في البحر المتوسط في أواخر 1770، أنظر، عبود الصباغ، المصدر السابق، ص 74 .

[2] المصدر نفسه، ص 74 .

[3] سيار الجمل، المرجع السابق، ص 262 .

[4] إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص ص 112، 113 .

[5] محمد كرد علي، المصدر السابق، ص 293.

[6] عبود الصباغ، المصدر السابق، ص 74.

السلطان العثماني، قد أدى هذا الأمر إلى خضوع الفرنسيين لظاهر وجعلهم يعقدون معاهدة معه سنة 1773م بدلا من عقدها مع السلطان العثماني [1].

كما أقام علاقات مع فرسان القديس يوحنا الذين كان يتمركزون في مالطا، وذلك بمساعدة وزيره إبراهيم الصباغ خاصة وان المؤرخ فولني يذكر أن بعض قراصنة مالطا هاجمت سفنا تركية ثم باعت ما نهبته في سوق عكا، وهاجمت الدوائر العثمانية وادعى ظاهر جهله بالحادث.

كما وطد علاقاته معهم بعد أن ضاق بمواقف الباب العالي العدائي منه أن هؤلاء الفرسان كانوا يستخدمون أسلوب القرصنة ضد سفن الدولة العثمانية فكتب إلى رئيس هؤلاء الفرسان يعرض عليه صداقته .

بالرغم من ذلك فقد كان قراصنة مالطا و القراصنة اليونانيين السبب في تدهور تجارة المشرق العربي الخارجية، وقد استمرت اعتداءاتهم على الساحل السوري من الاسكندرونة حتى يافا و كانوا يحتمون بالعلم الروسي ويعتدون على السفن الإسلامية والمسيحية على حد سواء[2].

المبحث الثاني : نهاية وتقيم حركة ظاهر العمر.

أولا:نهاية حركة ظاهر العمر.

لما تأكد ظاهر العمر من عداء أبو الذهب، بدأ يلتمس العفو من الدولة العثمانية، فعمدت إلى خداعه إذ أصدرت فرمان في عام 1774م معلنة العفو عنه، فعاد الشيخ ظاهر العمر حاكما على صيدا، عكا، يافا، ، الرملة، نابلس و صفد..و وجدت الدولة العثمانية إن مصير مصر وفلسطين قد أصبح بيد الحاكمين اشتركا في السابق ضدها، وبدأ كل منهما يكرس استقلالية إقليمه،فلجأت لضرب أحدهما بالأخر.[3]

كانت حملة أبو الذهب في مارس 1775م على إمارة الشيخ ظاهر العمر بداية النهاية لحياة هذا الرجل ولإمارته أيضا [4]، فقد أرسل الباب العالي لأبي الذهب فرمان بتثبيته في مشيخة البلد مع باشا ورتبة والي القاهرة القاهرة مكافأة لما فعله بالإيقاع بعلي بك الكبير وصرح له بأن يتبع ذلك الشيخ العاص، وبعد خروج الحملة من مصر إلى بلاد الشام، فمر بخان يونس فغزة ، فالرملة ولم يصادف مقاومة، أما يافا فكان عليها الشيخ كريم صهر الشيخ ظاهر فدافعت قليلا ثم فتحت عنوة فدخلها رجال أبو الذهب بالقتال والنهب حتى قتلوا القسم الأعظم من سكانها من رجال ونساء وشيوخ وأطفال[5].

وقال جودت : أن أبو الذهب قام من مصر في ستين ألفا جندي إلى يافا، و بعد حصارها خمسين يوما استولى عليها، وحمل السيف في أهلها كبيرهم وصغيرهم، وأن ظاهر العمر طلب مددا من الأمير يوسف

---

[1] تيسير جبارة، المرجع السابق، ص 27.

[2] رأفت الشيخ غنيمي, المرجع السابق، ص ص 71، 72 .

[3] سيار الجمل، المرجع السابق، ص 270 .أنظر، الملحق رقم(1)، ص57.

[4] رأفت الشيخ غنمي، المرجع السابق، ص 136.

[5] جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث، المرجع السابق، ص 136 .

الشهابي حاكم لبنان فأبى أن يمده فلم يسعه إلا الهروب من عكا، والتجأ إلى عرب غزة، ولما وصل أبو الذهب دهش الناس حتى أن بعض الأسر الكبيرة هاجرت بيروت خوفا، أما يوسف الشهابي حاكم لبنان فقدم الهدايا إلى أبو الذهب وجاء حاكم صيدا أحمد الدنكزلي ملتمسا رضاه مظهرا طاعته فأمنه على نفسه ومركزه، كما جاء مشايخ بني منوال فأكرمهم[1].

لقد وجد أبو الذهب في علي أحد أبناء الشيخ ظاهر العمر شريك سري، إذ ضايقه بقاء والده بالحكم مدة طويلة ، فقام علي بطرد والده من عكا التي استولى عليها أبو الذهب وهرب إلى صيدا، ولكنه ما لبث أن تركها بعد أن استسلم حاكمها الدنكزلي لرسول أبو الذهب .

كما قلنا سابقا أن الدولة العثمانية لم تكن ترغب في أن تؤول ممتلكات ظاهر العمر إلى حاكم مصر، ولذلك أرسلت حملة بقيادة القبطان حسن باشا لاحتلال عكا وبقية الإقليم، ولكن الحمى الشديدة فتكت بأبو الذهب وعاد الجيش المصري بجثمانه إلى القاهرة[2].

أسرع ظاهر العمر نحو عكا التي خشي أن يسلمها المرتزقة إلى ابنه علي وذلك لما سمع بموت أبو الذهب[3].كان حسن باشا قد كلف من طرف الحكومة العثمانية بإجلاء ظاهر من عكا وإرغامه على قبول السيادة العثمانية أو مطاردته ، وقد أرسل حسن باشا إلى ظاهر العمر الرسالة التالية: "من بعد السلام طلبت أعلمك عن سبب حضوري والآن عرفت كل شيء وهو حضوري بأوامر من الدولة العثمانية صانها رب البرية لكي أستلم منك ميري البلاد سبعة سنين التي لم تدفعها، وبعده أخذ رأسك وأستلم البلاد هذا هو سبب حضوري، ولكن لكوني أعرف جيدا رأفت الدولة العلية وشفقتها على رعاياها سيما على من يكون مطيع إلى أوامرها فلذلك إن شئت تدفع لي المال الميري وتسلمني عكا، وأنت تخرج إلى مواضعك القديمة...و أنا عند رجوعي إلى الأستانة العليا أعرض عن طاعتك وقبولك للأوامر، ويخرج لك فرمان بالعفو تماما عن كلما سلف منك وترجع إلى مدينتك كما كنت وبهذه الطريقة تكون صنت نفسك وعرضك ورجالك وحفظت مقامك هذا وإلا أنا حاضر للمحاربة[4]."

وكان على رأس الحملة التي أرسلتها الدولة العثمانية للقضاء على ظاهر العمر حسن باشا الجزائري من جهة البحر، ومن البر ثلاثة وزراء و والي الشام محمد بك العظم، و إبراهيم باشا النمر والي القدس، ومحمد باشا والي أضنه، وأحمد باشا الجزار الذي أصبح فيما بعد حاكم على عكا بدلا من ظاهر العمر[5].

---

[1] محمد كرد علي، المصدر السابق، ص 295.

[2] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 80 .

[3] سيار الجمل، المرجع السابق، ص 271 .

[4] رأفت الشيخ غنمي، المرجع السابق، ص 69.

[5] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 180.

لقد كان أحمد الدنكزلي على اتصال سري مع حسن باشا فقد طلب الدنكزلي من ظاهر العمر التوجه مع الذخيرة التي كان ظاهر العمر يريد أن يبعثها إلى حسن باشا فسمح له بالذهاب معها، فقال : إبراهيم الصباغ لظاهر بأن الدنكزلي خائن لكن ظاهر لم يشك في خيانته لأنه هو الذي قام بتربيته مثل أبنائه، ولما وصل الدنكزلي إلى حيفا عند حسن باشا فقال: "له إن ظاهر قدم إلى الدولة العثمانية هذه الهدية ودفع الأموال الميرية، وقال أيضا الأمر أمر سعادتكم وأما إذا أردتم أن تتوجهوا إلى عكا وتضربوها بالمدافع، فلن أسمح لأحد أن يضرب عليكم وحالا أسلمكم عكا، ومتى استلمتم عكا تأخذوا أموال إبراهيم الصباغ مع أموال عكا كلها وفوق الجميع رأس ظاهر العمر أسلمه بيدي". فأعجب حسن باشا بكلام الدنكزلي وصار الاتفاق بينهما بأنه في ثاني يوم يحضر المراكب إلى عكا ويحارب ظاهر العمر[1].

وفي ثاني يوم حضر حسن باشا إلى عكا وبدأ يضربها بالمدافع مدة ثلاث أيام، وكان عدد قنابله 7750 قنبلة ولم يحدث فيها ضرر كبير، ولكن هدمت بعض المحلات ، وقيل بأن قنبلة سقطت على مخزن البارود فاحترق [2]، وفي الثالث يوم حضر الدنكزلي إلى ظاهر العمر طالبا منه الخروج من عكا أحسن من أن يموت، ولم يستطع وقتها أن يقتل ظاهر لأن خيالة ظاهر كانت محاطة به، فقرر ظاهر أن يخرج من عكا بخيالته، وبقي الدنكزلي والمغاربة في عكا، وعند خروج ظاهر العمر من عكا قرر الخروج من باب السرايا السري، وبعد خروج ظاهر بقيت جاريته المفضلة بدأ ظاهر ينتظرها لكنها رفضت الذهاب معه، فذهب خيالته وتركوا ظاهر ينتظرها وهي ترفض الخروج و توجهوا مع إبراهيم الصباغ وبقي ظاهر وحده، وبعد أن طال في انتظارها قرر المغادرة وبعد ربع ساعة من المشي سقط عن فرسه مغمي عليه، شاهده احد المغاربة فقطع رأسه، وجسم ظاهر دفن على شاطئ البحر، والمكان الذي مات فيه يسمى أبو عتبه وذلك عام1775م[3].

حمل رأس ظاهر العمر إلى الأستانة وذهب العسكر المدينة في ساعتين [4]، و تروي المصادر بأن حسن باشا هذا عندما أحضر له الدنكزلي رأس ظاهر العمر وضعه أمامه وسأل الدنكزلي عن بلده في المغرب ومدة خدمته لظاهر العمر التي بلغت أربعين سنة كان موضع رعاية وعطف لظاهر العمر فغضب وقال: "تأكل خبز إنسان أربعين سنة ودخلك منه هذا المقدار وتخصب سيفك بدمه لينتقم الله مني اذا لم أنتقم منك لظاهر"، ثم أمر من كان في حضرته من ملازميه فأخذوا الدنكزلي فخنقوه ورموه في البحر[5].

سلم حسن باشا قائد البحر إلى أحمد الجزار ولاية عكا وصيدا و مايليها، فاحتال الجزار وعلى أولاد ظاهر العمر، ورجع حسن باشا الجزائري بالأسطول إلى عكا وحضر محمد باشا العظم والي دمشق، وإبراهيم باشا

[1] عبود الصباغ، المصدر السابق، ص ص 106، 10 .
[2] محمد كرد علي، المصدر السابق، ص 297 .
[3] عبود الصباغ، المصدر السابق، ص 109.
[4] محمد كرد علي، المصدر السابق، ص 29.
[5] رأفت الشيخ غنمي، المرجع السابق، ص69.

والي القدس بعسكره ونصبوا معسكراتهم خارج مدينة عكا، وذهب معهم أحمد الجزار وساروا جميعا مع قائد البحر قاصدين البطش بأولاد ظاهر العمر، حيث أخذهم حسن باشا إلى الأستانة، وقتل أحدهم في الطريق، وهو أحمد لأنه طعن فيه جهرا ، وبقي أحد أولاده ، واسمه الشيخ علي يتنقل في البراري، فبلغ الدولة العثمانية الخبر فأرسلت إلى محمد باشا العظم أن يرسل إليها رأس علي فأرسل والي دمشق رأس ابن ظاهر مع ثلاث رؤوس من جماعته، وبذلك انقضت دولة ظاهر العمر، و اندثر ذراريها[1] .

ثانيا: تقييم حركة ظاهر العمر.

تعتبر حركة ظاهر العمر حركة استقلالية انفصالية عن الدولة العثمانية يذكر المؤرخون أنها قامت لسد فراغ سياسي الذي ظهر بعد انهيار النظام المركزي العثماني و التقليدي في الولايات العربية، وأن النفوذ الإقليمي لكل من ولاية دمشق وإمارة لبنان لم تتمكنا من فرض سيطرتهما على الجليل الفلسطيني الذي كان يتمتع بمواصفات إقليمية ذات خصوصية مشتركة[2] .

تميزت علاقته بالدولة العثمانية في معظم أحوالها بالصراع فكان من الممكن أن تكون علاقته بها طيبة، وقوية لمصلحة عرب الشام لولا دسائس رجل الدولة العثمانية ومؤامراتهم التي لا تنتهي .

بالرغم من انه كان يسترضي هؤلاء الرجال بالهدايا والأموال المستمرة والكثيرة إلا إن تلك المؤامرات والخطط كانت تدبر لإقصاء هذا الأمير العربي، وقد فتح على نفسه جبهات حيث جاهد ضد قوى كثيرة على غرار العثمانيين في مركز السلطنة، والباشاوات في ايالات الشام، والقبائل العربية في بلاد الشام المناوئة له،كما انه كان يتحالف مع الدروز تارة ومع الأجانب تارة أخرى، خاصة المالطيين و الروس والفرنسيين, وغيرهم تارة أخر .[3] كما انه اعتمد على المرتزقة الذين خذلوه بخيانتهم التي تفاقم خطرها إلى حد خيانة أبنائه علي وعثمان[4].

وهنا يمكننا القول انه مما يؤخذ على ظاهر أنه تحالفه مع الروس ضد الدولة العثمانية العدو اللدود لها مما أدى إلى اعتباره خارجا على الخلافة الإسلامية وابتعاد أتباعه عنه [5]، هذا افقده إي عطف من جانب السلطان السلطان فدبرت المؤامرات المستمرة للإطاحة به والقضاء عليه .[6]

كذلك تحالفه مع علي بك الكبير حاكم مصر المملوكي حيث كانت هذه الصداقة مصيرية، لأن كل منهما لديه مصالح وكلاهما يرغب في الانفراد بالحكم في المنطقة التي يحكمها دون الخضوع للدولة العثمانية [7].

---

[1] محمد كرد علي المصدر السابق، ص297.

[2] سيار الجمل، المرجع السابق، ص 271 .

[3] رأفت الشيخ غنيمى، المرجع السابق، ص 73.

[4] سيار الجمل، المرجع السابق، ص 271 .

[5] محمد عبد الله عودة، المرجع السابق، ص 43.

[6] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 170.

[7] سيار الجمل، المرجع السابق، ص 272 .

إلا إن الشخصيتين كما يشير سيار الجمل في كتابه: تكوين العرب الحديث أنهما اخطأ بالاعتماد على الروس الأجانب الذين وجدوا الطريق مفتوحا لهم كي يضرب أسطولهم بيروت يحتلوها بعد سيطرتهم على الحياة الإقليمية العثمانية.[1]

وهذا يدل على عدم تدبره في اختيار حلفائه، فاستطاعت الدولة العثمانية الانتصار في الأخير رغم ضعفها في النهاية وتمكنت من الإطاحة به إذ استغلت الموقف الموجود في هذه المناطق أحسن استغلالا[2].

لكن بالرغم من ذلك كله فإن حركة الشيخ ظاهر تعتبر ظاهرة تاريخية نبهت الرأي العام العربي والعثماني إلى حجم الهوة بين المركزية العثمانية و الأطراف العربية، و أثارت جملة من التناقضات في التركيبة الإقطاعية للمجتمع.

وكما يقول المؤرخ فيليب حتي: "وحكم هذا الرجل الجديد بيد من حديد فقمع أعمال الشقاوة والفساد وشجع على الزراعة القمح وصناعة الحرير والقطن، وعامل رعاياها لنصارى باللين والتساهل..."[3].

ومما لا شك فيه إن فترة ظاهر العمر قد أثرت في تطور جنوبي سورية، فلقد حقق الأمن والنظام، ولم يثقل كاهل أتباعه بالضرائب الباهضة كما انتعشت الحركة التجارية في مدنه لا سيما عكا التي حولها إلى مركز لتصدير الحرير والقطن والقمح وغيرها من منتجات فلسطين إلى الأسواق الخارجية، واستمرت عكا في الازدهار حتى غدت المركز الإداري للولاية[4]

كما وصفه احد المؤرخون فولنه"ظاهر العمر لم تشهد له الشام مثيلا في الأزمان الغابرة وكان داهية باقعة في السياسة حكيما محنكا، ولكنه كان طم وحا طماعا، ومن محاسن صفاته أنه لم يكن يحب الاحتيال ويجاهر بما يضمر ولو قاسى من ذلك العنت، وأنه عجب المسيحيين ورفع شانهم وعدل بين الناس".

وقال من عاصره "حكم الظواهر البلاد نحو 80سنة وامتد نفوذهم من حدود جبل عامل شمالا ، إلى أطراف جبال القدس جنوبا ،ومن البحر المتوسط غربا إلى جبال عجلون شرقا ،وكانوا يرجعون في أحكامهم إلى أصول العشائر حسبما توحيه إليهم ضمائرهم. وقد شيدوا في الأقاليم أبنية ضخمة فرمم ظاهر بعض ما تمكن من ترميمه مما خربته الحروب الصليبية ورفع سور عكا الداخلي وشيد فيها جامع محلة الجرنية، و بنى علي في صفد القلعة الباقي شيء من آثارها اليوم، و بنى صليبي في طبرية السرايا المعروفة اليوم باسم الصقرية نسبة إلى عرب الصقر، وعمر الجامع الواقع جنوب السراي، ورمم عثمان قلعة قرية شفا عمرو وعمرها، وبنى احمد

[1] المرجع نفسه ، ص 272 .

[2] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 71.

[3] سيار الجمل ، المرجع السابق ، ص 272 .

[4] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 171.

قلعة تبنة، وشيد سعد قلعة دير حنا. وهذه القلاع الثلاث لا تزال موجودة، وعمر في دير حنا الجامع الموجود إلى اليوم وكان بناؤه سنة 1144هـ."[1]

والغالب إن الشيخ ظاهر الذي حكم عكا، صيدا، يافا، حيفا، الرملة، نابلس، اربد وصفد وجميع المتاولة كانت تحت إمرته [2]، قد أحيا الروح العربية بانتفاضته العربية الخالصة التي تجلت فيها مواصفات العروبة والرجال العرب المتحلين بالعدل والرحمة والمروءة والشجاعة وكل القيم العربية الأصيلة، في وقت ضاعت فيه هذه القيم على يد رجال الدولة العثمانية وقادة جندها.[3]

إن تحالف ظاهر العمر مع علي بك الكبير بداية النهاية لحياته، إضافة إلى تحالفه مع روسيا لذلك قررت الدولة العثمانية القضاء عليه خوفا على مصالحها في بلاد الشام ولتفادي سيطرته عليها والانفراد بحكمها، وقد تمكنت من ذلك عام 1775م، وبذلك انتهت حركته الانفصالية ، وما يؤخذ عليه انه استنجد بأعداء الدولة العثمانية مما اجبرها على إلزامية القضاء عليه لان ذلك كان يهدد مصالحها في المنطقة .

[1] سيار الجمل، المرجع السابق، ص ص 290، 300 .

[2] محمد كرد علي، المرجع السابق، ص 298,

[3] رأفت الشيخ غنيمي، المرجع السابق، ص 73 .

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع البحث استنتجنا مجموعة من النقاط وهي كالأتي:

أن الدولة العثمانية غيرت مسار فتوحاتها من الغرب الأوربي إلى الشرق الإسلامي وذلك لأسباب منها الخطر الصفوي الذي كان يهدد حدودها وتنامي قوة المماليك في المنطقة، فكانت العلاقات المملوكية العثمانية في بادئ الأمر ودية ثم تحولت إلى صراع مستمر حتى تمكن السلطان العثماني سليم الأول القضاء على سلطة المماليك في بلاد الشام ولم يحتج السلطان إلى أكثر من معركة وهي معركة مرج دابق 1516م حتى تمكن من فرض السيطرة على بلاد الشام، وكان من أهم أسباب هزيمة المماليك الانقسام الذي حدث في جيش قانصوه الغوري .

سيطرت الدولة العثمانية على بلاد الشام بداية من 1516م فتميزت السياسة العثمانية في المنطقة بنظام حكم بسيط، فلم تقم السلطات العثمانية بإحداث تغيرات كبيرة في إدارة البلاد، فأبقت على التقسيم الإداري الذي كان سائدا في فترة الحكم المملوكي مع إضافة بعض التغيرات في الأسماء، وجاءت بحكام عثمانيون من الأستانة ليحكموا البلاد، وقد منحت بعض الأسر حكم بعض المناطق مكافأة لهم لما قدموه لها في حربها ضد المماليك .

أن اهتمام الدولة العثمانية بجمع الضرائب و إهمالها شؤون البلاد الاجتماعية والاقتصادية جعل الشعب يثور عليها، وقد التقت أهداف الشعب مع المطامع الشخصية لبعض الشخصيات والأسر لتتوحد في الثورة على الدولة العثمانية في بلاد الشام منتهزين فرصة ضعف الدولة العثمانية، و انشغالها بمشاكلها الخارجية .

قاد الحركات الانفصالية في لبنان كل من الأسرة المعنية والأسرة الشهابية، والأسرة المعنية 1516م – 1636م كانت أول الأسر تثور ضد نظام الحكم العثماني رغم أن السلطان العثماني هو الذي قام بتنصيبها في الحكم، واستطاعت أن تحقق بعض الاستقلالية التامة في عهد فخر الدين المعني الثاني .

بعد الأسرة المعنية استلم لواء الانفصال في لبنان الأسرة الشهابية، والتي حكمت لبنان من 1697م – 1840م بحيث دخلت في صراع حاد مع الدولة العثمانية والذي فشلت هذه الأخيرة في إنهائه مما أجبرها للتخلي عن معاداة الأسرة الشهابية وعدم التدخل في شؤون لبنان لفترة طويلة.

تمكنت أسرة آل العظم بسوريا من حكم البلاد بعد القضاء على الفوضى التي عمت البلاد فقام السلطان العثماني بتثبيتها في حكم البلاد بداية من تاريخ 1724م إلى غاية 1786م، شهدت البلاد خلالها استقرارها وازدهارها في عهد أسعد باشا 1742- 1750م، واستطاع أن يحقق بعض مظاهر الاستقلال عن الدولة العثمانية.

حكم أحمد الجزار عكا بفلسطين عام 1776م كمكافأة له من طرف السلطان العثماني نظير ما قدمه من خدمات لها تجاه القضاء على من قادوا الانفصال ضدها لكن في الاخير تزعم حركة الانفصال عنها في فلسطين بعد ظاهر العمر.

مثل حركة الانفصال في فلسطين ظاهر العمر الزيداني الذي ولد عام 1695م، يعود نسبه إلى قبيلة الزيادنة وصل إلى ما وصل إليه بفضل مواصفات كان يتمتع بها، فجعلت منه شخصية قوية فقد كان ذكيا، تميز بالدهاء السياسي والعسكري، إضافة إلى المكانة الخاصة التي حظي بها لدى والده فأولاه عناية خاصة، هذه المواصفات مكنته من الوصول إلى الحكم بعد وفاة والده عمر بالرغم من صغر سنه.

تسلم ظاهر العمر حكم طبرية من طرف أمير جبل لبنان الدرزي بموافقة إخوته الأكبر سنا منه، لتبدأ توسعاته في البلاد معتمدا على أسلوبين: وهما المسالمة والحرب مستغلا ضعف الدولة العثمانية وانشغالها بحروبها الخارجية .

تمكن ظاهر العمر من التوسع في البلاد حتى ضم بلدان كثيرة، بحيث بدأ توسعاته من طبرية إلى صفد ثم عجلون ونابلس، حماة، حمص وعكا التي اتخذها مقرا له، وقام بتحصينها وذلك بعد أن أدرك أهميتها .

كان ظاهر العمر على علاقة جيدة مع الدولة العثمانية في بداية الامر، لكن أخذت منحى آخر عندما أعلن استقلاله عنها، وازدادت حدة الصراع بعد تحالفه مع أعداء الباب العالي وهما علي بك الكبير المملوكي في مصر، وروسيا القيصرية التي لطالما كانت في صراع معها، وهنا فكرت الدولة العثمانية في القضاء على ظاهر العمر وعلى حركته الانفصالية بعد أن تضاربت مصالحهما في المنطقة.

ربط ظاهر العمر علاقات مختلفة، اقتصادية وعسكرية بجهات متعددة محلية خارجية، توجهها الأهداف والمصالح منها لكل الأطراف، فمع الدولة العثمانية تأرجحت بين السلم و العداء وبرز ذلك من خلال ممثليها في باشويات الشام،كما اتصل ببعض الدول الأوربية على رأسها روسيا، إضافة إلى فرنسا، فلورنسا، وفرسان القديس يوحنا وذلك خدمة لمصالحه وتحقيق أطماعه .

كانت نهاية ظاهر العمر على يد أحد المغاربة عندما شكلت الدولة العثمانية تحالف ضده، وسهل الأمر الدنكزلي الذي خان ظاهر العمر وأخبر حسن باشا الجزائري قائد الأسطول العثماني والذي كلف من طرف الأستانة للقضاء على ظاهر عن مكان تواجده، وبذلك انتهت حياته وحركته الانفصالية، واندثرت دويلته حيث تتبعت الدولة العثمانية فلول أبناءه وتمكنت من القضاء عليهم وكان ذلك سنة 1775م.

ملاحق

1- ملحق الوثائق

2- ملحق الخرائط

3- ملحق الصور

الملحق رقم (1): رسالة عثمان باشا للأمير يوسف بالعفو عن ظاهر العمر

نص الوثيقة

رسالة عثمان باشا للأمير يوسف بالعفو عن الشيخ ظاهر

افتخار الأمراء الكرام. عين الامجد ذوي الاحترام. جناب الأمير يوسف الشهابي دام موفقا لما فيه السداد ورضى رب العباد.

غب اهداء ما يليق التحية والتسليم يزيد الاعزاز والتكريم، والسؤال عن خاطركم السليم، تنهى إليكم أنه قد سبق في قضاء الله وقدره بهذه السنين الماضية كثير من الخلل والتشويش في الاقطار العربية والبقاع الشامية بسبب الظلم الحادث من بعض ولاة الأمور وظهور على بك وفساده. فلما أراد الله رفع الفتن أمر به فكان. ولكن بقي آثار منه إلى هذه المدة لأن الحاجات مرهونة بالأوقات. فقلد جيدنا حضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن حسم هذه القلائل وحراسة الخاص والعام. فرأينا الشفقة على العباد من اسد السداد. واجتهدنا في حقن دماء المسلمين وصيانة الأعراض. وأعرضنا عن تلفيق أصحاب الفتن والأغراض. وقد انتهت الأمور إلى استكشاف ما في الصدور. وألهم الله كلا من ذوي العقول رشده وطلب فجاجه وسعده . فمن أجل من طلب النجاح، وغرد طائر سعده بحيي على الفلاح قدوة المشايخ الكرام وعين أعيان العقلاء الفخام صاحب المقام المعتبر أخونا الشيخ ظاهر العمر. وقد حرر إلى ناديا الدستوري وسأل الدعاء وتمسك بحبل العهود والوفاء وأعلن الطاعة لحضرة مولانا السلطان ظل الله في أرضه نصره العزيز الرحمن على شروط وعهود معلومة واستعطف أن ينعم عليه بايالة صيدا على وجه الملكية. ويرسل البقايا الباقية عليه في ايالة صيدا خمسمائة الف غرش عاجلا. ويرسل كل سنة مائتين وخمسة وعشرين ألف غرش من المال للسلطان ويؤدي خدمة حراسة ولوازم المحمل الشريف كجاري المعتاد. فلما رأينا رجوعه عن العناد واقباله على السداد أنعمنا له بذلك على ما عندنا من التحقيق بكوننا مرسلين لنظام الأقطار العربية ومدرجين في دفتر اعتماد الدولة العلية. وإننا إذا أملنا من كرمها شيئا لا يخيب الأمل ولا يضيع العمل. لذلك قد أجبناه وأنعمنا عليه بما تناه. وأشعنا في دمشق بنداء المنادي بين

الخاص والعام. والآن وردت أوامر العفو والقبول واجابة المسؤول فحررنا من ناديتنا الدستوري مراسيم إلى كل من بيده مقاطعة من الايالة وابتدأنا بكم. لانكم ترغبون في هذه الحالة إذ أنّ جناب أخينا الشيخ ظاهر في مقام والدكم وعلى الخصوص أنه من سبعين سنة موصوف بحماية البلاد وصيانة العباد، لأنهم وديعة الله الملك الرحمن لحضرة مولانا السلطان. وهم من الطرف الخاقاني وديعة ولاة الاحكام فبوقوفكم على كتابنا هذا تتحققون نجاح القصد وفر السعد. وتكونون على قدم الطاعة لولاة الأمور عملا بقوله تعالى أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم. واشتغلوا بمداومة الدعاء لحضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن. واعلموا واعتقدوا بما حررنا والحذر من خلاف ما رسمنا والسلام.

حرر في ٢٧ ذي الحجة سنة ١١٧٨ هـ

جرجي زيدان، النهضة العربية، المرجع السابق، ص ص 61، 62.

الملحق رقم (2) توسعات السلطان سليم الأول (1516_1520م)

سيار الجمل، المرجع السابق، ص 610.

الملحق رقم (3) المقاطعات اللبنانية في عهد المعني.

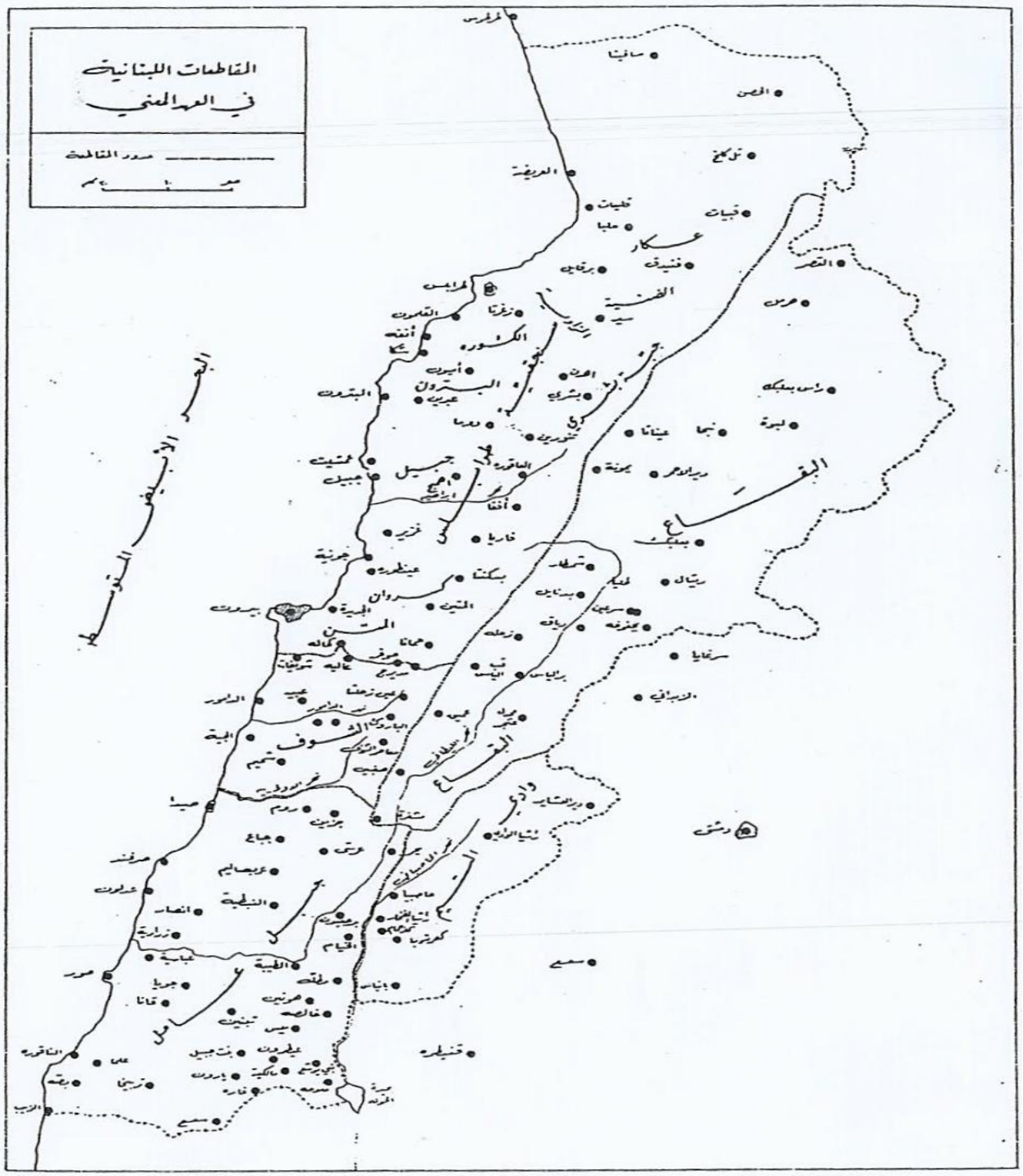

أبو طلال الفغالي،معارك العرب، ج 18، المرجع السابق، ص55.

ملاحق رقم (4) القلاع والحصون في عهد فخر الدين الثاني المعني.

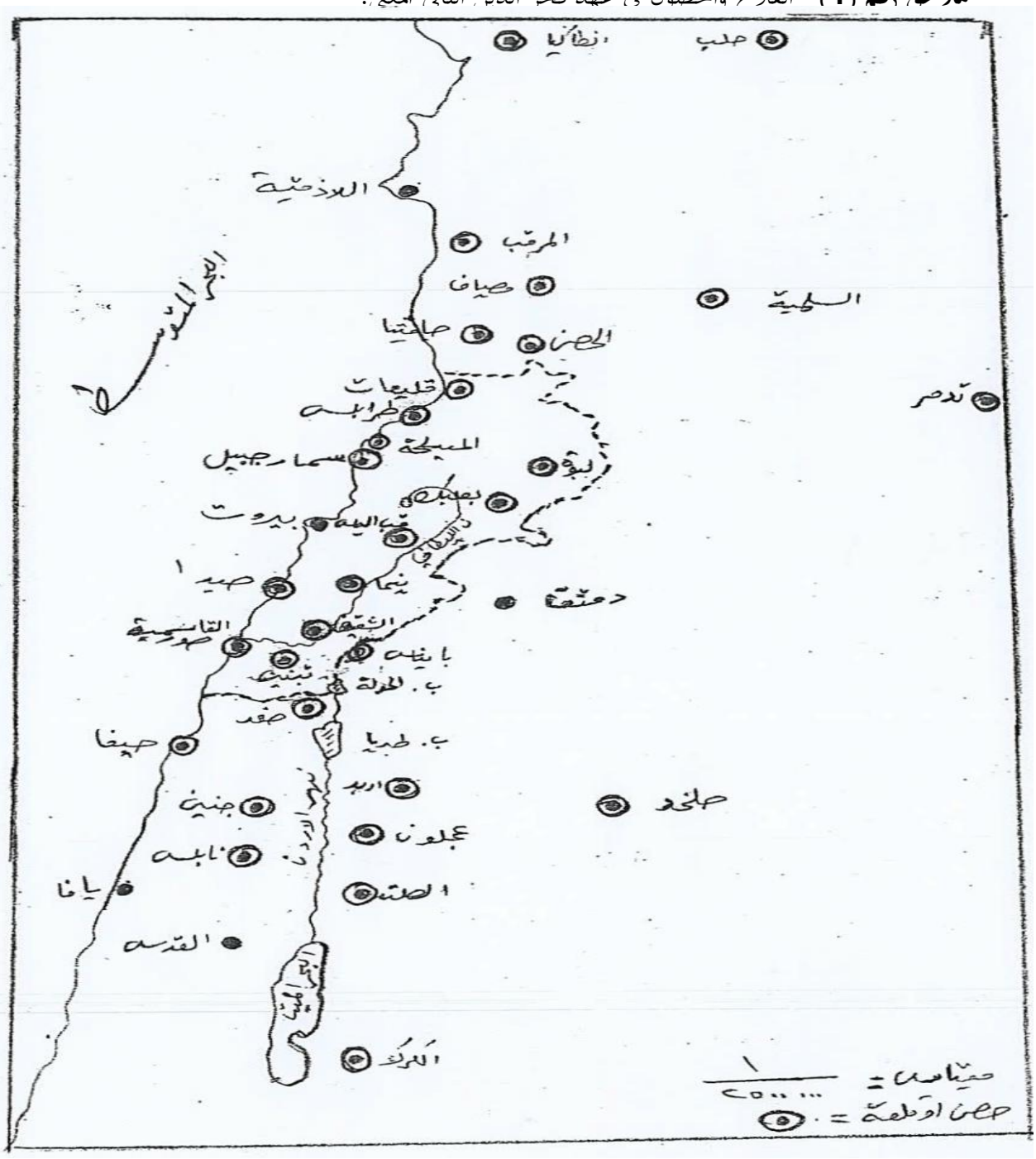

أبوطلال الفغالي،معارك العرب، ج 18، المرجع السابق، ص120.

الملحق رقم (5) إمارة فخر الدين الثاني في أقصى إتساعها

محمد عبد الله عودة، المرجع السابق، ص 41.

الملحق رقم (6) معركة عنجر1623م

أبو طلال، معارك العرب، ج 18، المرجع السابق، ص 198.

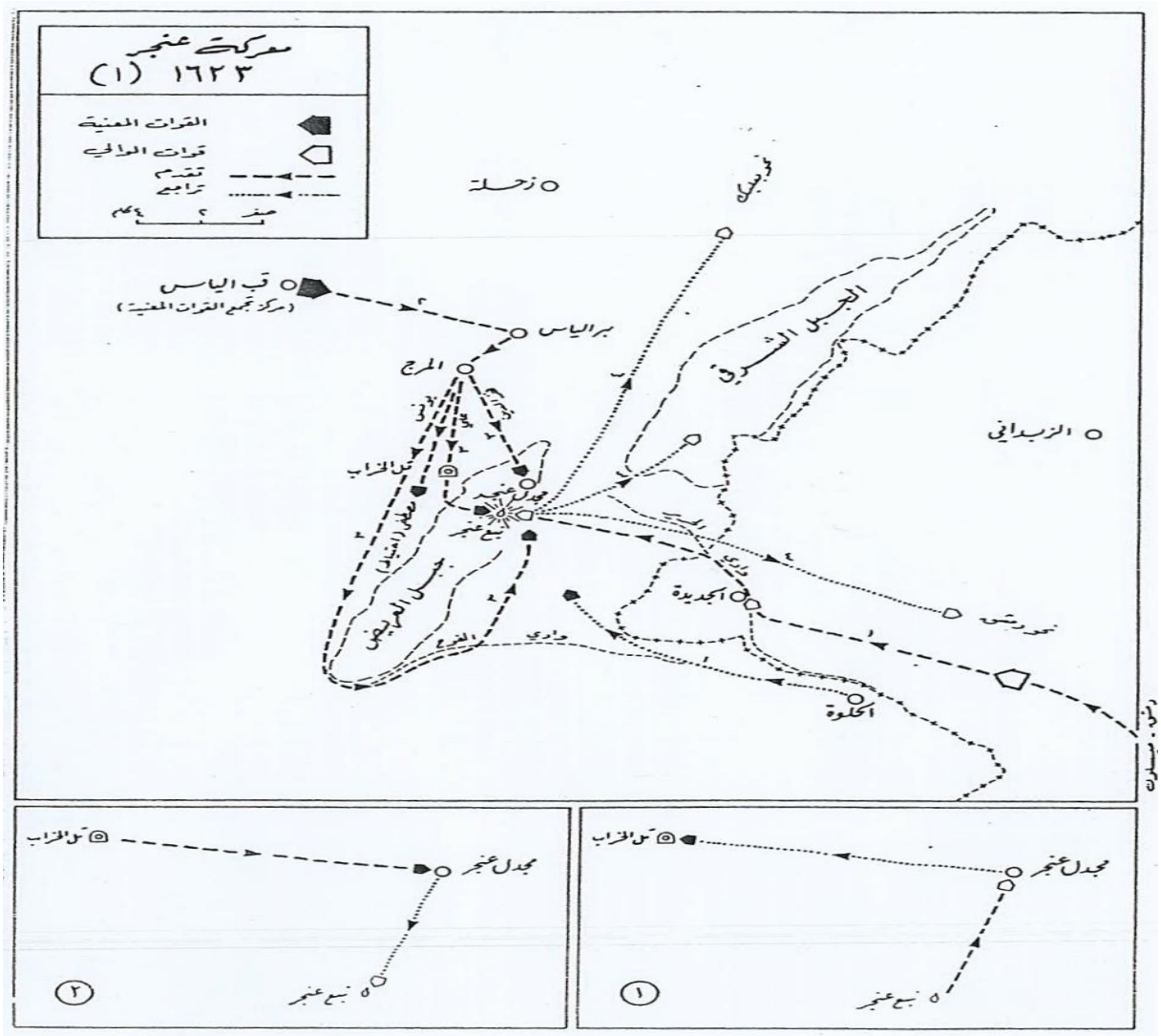

أبو طلال، معارك العرب، ج 18، المرجع السابق، ص 198.

الملحق رقم (7) معركة عين دارة1711م.

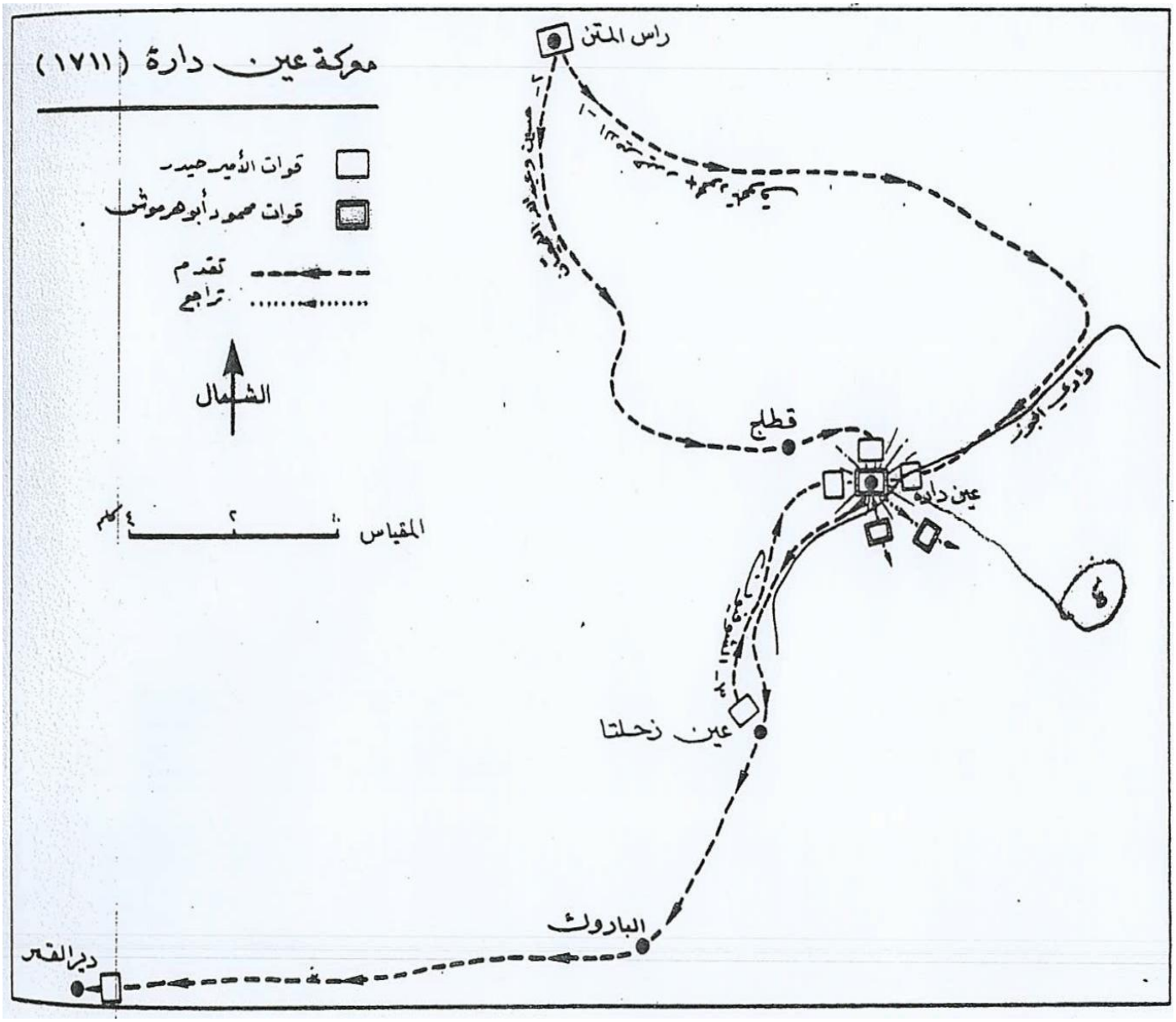

أبوطلال الفغالي، معارك العرب، ج 19، المرجع السابق، ص48.

الملحق وقم (8): لبنان في عهد المعنيين والشهابيين

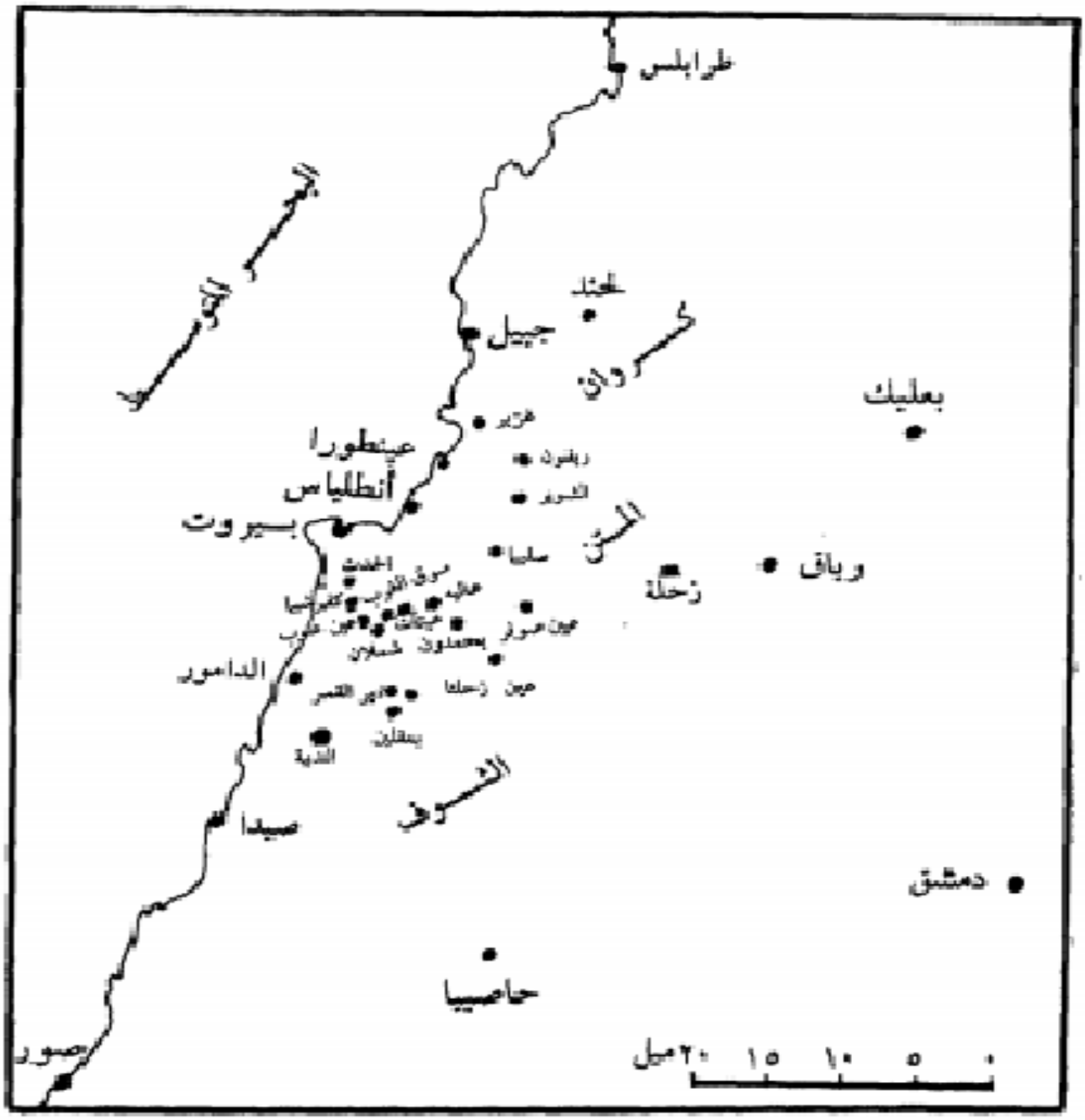

عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 171.

الملحق رقم (9) الأمير فخر الدين المعني الثاني

ابو طلال الفغالي، معارك العرب، ج 19، المرجع السابق، ص189.

الملحق رقم (10) الشيخ ظاهر العمر

البشتاوي محمد محمود، ظاهر العمر بين المشارط وقوالب التاريخ، جريدة الرأي، تاريخ النشر، 2012/11/09.

الملحق رقم (11) علي بك الكبير

أ

أبو طلال الفغالي، معارك العرب، ج 19، المرجع السابق، ص88.

قائمة المصادر والمراجع

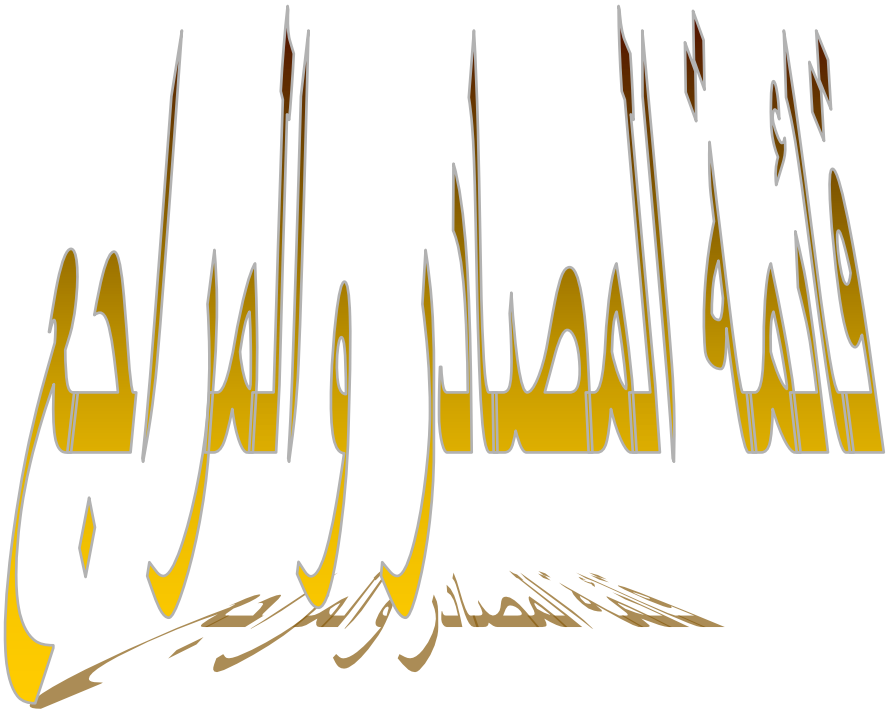

قائمة المصادر المراجع

أولا: المصادر:

1 ـ الجبرتي عبد الرحمان، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج 1، عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م .

2 ـ الصباغ عبود، الروض الزاهر في تاريخ ظاه ر، ط 1، تح، محافظة عبد الكريم، هزايمة عصام مصطفى ، دار الكندي للنشر و التوزيع، أربد، الأردن .

3 ــ المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية دار الجيل، بيروت .

4ــ المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط 1، تح ، حقي إحسان، دار النفائس ، بيروت1981م

5 ــ علي محمد كرد، خطط الشام، ج 2، ط 2، مكتبة النوري، دمشق .

ثانيا: المراجع:

1 ـ بركات مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية 1517ـ 1924م، دار غريب، القاهرة، 2000م.

2 ــ بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط 5، تر، بنية فارس، البعلبكي منير، دار العلم للملايين ، بيروت 1998م .

ـ بيضون جميل، و آخرون، تاريخ العرب الحديث، ط 1، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد 1411 هـ ـ 1991م .

3 ــ بيومي زكريا سليمان، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية التحالف الاستعماري اليهودي وتمزيق الدول الإسلامية، دار الإيمان للنشر والتوزيع، بيروت، دمشق، عمان، 2009م .

4 ــ جبارة تيسير، تاريخ فلسطين، ط 1، دار الشروق، عمان، 1998م .

5 ــ الجمل سيار، تكوين العرب الحديث، ط 1، دار الشروق،عمان، 1997م .

6 ــ الجمل شوقي عطا الله، إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، تاريخ العالم العربي الحديث من الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاضر، ط 1، المكتبة المصرية للمطبوعات، القاهرة،2007م .

7 ــ حتي فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج 2، تر، صداد جورج، رفيق عبد الكريم، دار الثقافة العربية بيروت .

8 ــ حتي فليب وآخرون، تاريخ العرب، ط 12 ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت، لبنان 2007م .

9 ــ الحسن عيسى، تاريخ العرب الحديث من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط .1

10 ــ زيدان جرجي، تاريخ مصر الحديث، ط 1، دار المقتطف، مصر، 1889م .

11 ــ زيدان جرجي، مصر العثمانية، تح، محمد حرب، دار الهلال، 1911م .

12 ــ سوادي هشام، تاريخ العرب الحديث 1516 _ 1918م من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ط 1، دار الفكر، عمان، 2010م .

13 ــ عبد الكريم أحمد عزت، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت .

14 ــ عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي الحديث 1515_ 1922م، دار النهضة للطباعة والنشر بيروت .

15 ــ عودة محمد عبد الله، الخطيب ياسين إبراهيم، تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية للنشر.

16 ــ غربي محمد الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288_ 1918م، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية .

17 ــ غنيمي رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية 1411هـ_1991م .

18 ــ فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ط 1، دار المدار الإسلامي ، بيروت 2003م ,

19 ــ محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة العثمانية إلى الانقلاب على الخلافة، ط 2 ، دار النفائس، بيروت.

20 ــ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي العهد العثماني، ج 8، ط 14، المكتب الإسلامي 1423هـ_ 2000م .

21 ــ مصطفى أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة .

22 ــ نخلة محمد عرابي، تاريخ العرب الحديث، ط 1، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريد ، القاهرة ، 2014م .

23 ــ نوار عبد العزيز، النهضة العربية الحديثة، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية 2002 م .

24 ــ نوار عبد العزيز سليمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر.

25 ــ هريري محمد عبد اللطيف، الحروب الفارسية الإيرانية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا، ط 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987

26 ــ ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط 1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 2008م .

ثالثا: الموسوعات :

1 ـ أنطوان مراد قصة وتاريخ الحضارة بين الأمس واليوم سوريا، ج 9_ 10، بيروت .

2 – الزركلي خير الدين ، للأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، ج 2 ،ط 5، دار العلم للملايين، بيروت ، 1980م .

3 – الفغالي أبو طلال، معارك العرب منذ ما قبل الإسلام حتى حروب الخليج عصر الإمارة الشهابية، مج 19، ط 1، دار نوبليس، بيروت، 2007م .

4 – الفغالي أبو طلال، معارك العرب منذ ماقبل الإسلام حتى الحروب الخليج عصر الإمارة المعنية، مج 18، دار نوبليس، بيروت، 2007م .

5 – مفيد الزيدي ، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني ، 1516_1916م، ج 4 ، دار إسهانة للنشر والتوزيع عمان، 2009م .

6 – الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

رابعا: المجلات والجرائد:

1 – صافي خالد ، مجلة الجامعة الإسلامية، مج 13، ع 2، سلسلة الدراسات الإنسانية، 2005م.

2 – البشتاوي محمد محمود، ظاهر العمر بين المشارط وقوالب التاريخ، جريدة الرأي، تاريخ النشر،2012/11/09.

فهارس

1- فهرس الأعلام

2- فهرس الأماكن

3- فهرس الموضوعات

فهرس الإعلام

أ

إبراهيم باشا 25-49.

إبراهيم باشا النمر48.

إبراهيم الصباغ 40_41_46_48_49.

ابوطلال الفغالي 40.

الأمير احمد 07.

احمد ابن ظاهر50.

احمد ابو قوق25.

احمد الجزار21_26-25_27_48_49.

احمد الدنكزلي47-48-49.

احمد المعني20.

اسعد باشا العظم 25-26.

الشاه إسماعيل 09.

إسماعيل باشا العظم 24_25.

إسماعيل بك 41_48.

اليكسيس ارلوف 45.

إميل توما 43.

اهتمان اوغلي 10.

ب

بشير بن حسين الشهابي 20.

بشير الشهابي الاول 20.

بشير الشهابي الثالث 21_22.

بشير الشهابي الثاني15-21_22.

ج

جان بردي الغزالي 09_11.

جان بلاط الكردي 17.

ح

حسن باشا47- 48- 49.

ش

شحطه 32.

شمة 32.

ص

صالح 32_33_38

صليبي 44_50.

ظ

ظاهر العمر

15_21_26_30_31_32_33

34_35_36_37_39_40_41_42_

43_44_45_46_47_48_49_50_

ع

الشاه عباس 15.

عباس بن ظاهر 36.

عثمان باشا 23_25_36_39_40_

41_42_44.

عثمان ابن ظاهر50 .

علي بك39- 40_41_42_43_44_45

_50.

علي بك الطنطاوي 43.

عمر الزيداني 30_32_50.

عبد الغفار الشويكي 33

عبد القادر الحفناوي 32

م

محمد باشا بن عثمان 39_40.

محمدباشا العظم 49.

محمد الفاتح 06.

حسن بك الحداوي 43.
حسين باشا بن مكي 25.
الحسين بن علي 30.
حيدر الشهابي 20_32.
خ
خاير بك 09.
خليل باشا 40_44.
د
درويش باشا 40.
ر
ريزو 45.
س
سعد الدين 36.
سعد الخوري 21.
سعد ابن علي 51
سليمان باشا 24_25_33_34.
سليمان القانوني 11.
سليم الأول 6_7_8_9_10_11_16.
سليم بك 43.
سميث سيدني 27.
غ
غورهجاه احمد باشا 10.
ف
فتح الله 25.
فخر الدين الأول 16.
فخر الدين الثاني 16_17_18_19.
فولني 46.
فيليب50.
محمد نافع 33.
محمد أبو الذهب 42_43_44_46_47.
محمود ابا هرموش 20.
محمود الأول 25.
مراد الرابع 19.
مصطفى باشا 25.
معن الأيوبي 16.
ملحم الشهابي 21_34.
منصور 21_32_44.
ميخائيل الدمشقي 27.
ن
نابليون بونابرت 21_27.
نصوح باشا بن عثمان 23.
ي
يوسف باشا سيفا 16-18-20.
يوسف الشهابي 21_26_27_40_44_47.
يوسف بن ملحم 21.
يونس 18.

ق قانصوه الغوري07-08. قبطان باشا 24. قرقماس16. **ك** الشيخ كريم 44_46. كوزيموس (كوسموس) 18.	

فهرس الأماكن

أ

ابو عتبه 48.

أذربيجان 8- 10.

اسبانيا 15- 18.

الاسكندرونة 10- 46.

آسيا الصغرى 07.

ألبانيا 26.

الأناضول 08- 19.

انجلترا 22.

ايطاليا 15- 17- 19.

ب

بئر السبع 10.

بعلبك 17- 22- 27.

البقاع 11- 16- 19- 22- 23- 27- 34.

البوسنة 26.

بيروت 18- 21 – 22-23-26- 44- 45- 47- 50.

ت

تسكانيا 17-18.3.3.3.3.

ج

جبال عجلون36- 50.

جبال القدس 50.

جبال الدووز22- 32-33-34.

جبل كامل 22.

جبل الكرمل27-35.

س

السدود 10.

الصلط10.

السمقانية 21

سهل الغازية 43.

سوريا 8- 10- 11-16-17-19- 22- 43- 50.

الشام6- 7- 8- 9- 11- 12- 13- 14- 15- 16-18- 22- 24- 26- 27- 28-30- 31- 32-33-35-36- 39-40- 41- 42- 45- 46- 48- 49-50.

شفا عمرو 33- 35-36.

الشوف 11- 20- 34.

ص

الصاليحية 44.

صفد 10- 12- 15- 18- 30- 32- 33- 34- 35- 36.

صفورية 36.

صور 10- 43.

صيدا 10- 11-15-7 1- 18- 21- 22- 23- 24- 25- 26- 27- 30- 32- 33- 34- 39- 40- 41-42-43- 44.

ط

طبرية 10- 15- 24- 30- 32- 33- 34- 36.

طرابلس 10- 11- 14-25- 39- 41.

طرسوس 07.

الطنطورة 35.

جبل لبنان 27.
جبيل 22.
جرش 10.
جزيرة كريت 24.
الجليل23- 24-26.

ح
الحجاز23- 24- 25- 41.
حلب 8- 9- 10- 11- 18-23- 41.
حماة 9- 10- 23.
حمص 10- 11- 23- 42.
الحولة 30.
حوران 17- 20.
حيفا 10- 35- 36- 48- 50.

خ
خان يونس 46.
الخليل 40.

د
الدامون 32-33.
دمشق10- 11- 16- 17- 18- 19- 22- 23- 24- 25- 27- 30- 33- 34 36- 39-41.
دير حنا 50.
دير القمر20- 26

ر
الرملة10- 33- 41.
الطيرة 35.

ع
عجلون10- 17- 18- 50.
العراق 23.
عريستان 18-40.
عكا 10- 12-21-26- 27-31-32- 34- 35- 36- 40- 41- 43- 44- 45- 46-47- 48-49-50.
عمان 10
عين تاب 8-12.

غ
غزة 11- 41- 42- 43- 46-47.

ف
بلاد فارس 8.
فرنسا 15- 18- 22- 45.
فلورنسا 17- 18.

ق
قاقون 41.
القاهرة 6- 26- 42- 44- 46- 47.
القدس 10- 40- 42- 49.
القسطنطينية 06- 44.

ك
كردستان 08.
كرك10.
كسران 17.

روسيا 16- 45- 50.

ز

زحلة 27.

كليكية 08.

ل

اللاذقية 10.

لبنان 11- 15- 16- 17- 18- 19- 20- 21 22- 27- 47- 49.

اللد 10- 43.

لوبية 34.

م

مالطا 18- 22- 46.

المجدل 10.

مرج بني عامر 41.

مصر6- 8- 18 -19- 22- 23- 24- 40- 41- 42- 44- 45- 47.

مصطبة السلطان 10.

معرة النعمان30.

ن

نابلس 10- 17- 18- 33- 42- 46-50.

الناصرة 35.

نهر كلب 17.

ي

يافا 40- 41- 42- 43- 44- 46- 47- 50.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء.	
شكر وعرفان.	
مقدمة	أ
الفصل الأول: التواجد العثماني في بلاد الشام.	5-28
المبحث الأول: دخول العثمانيين إلى بلاد الشام.	6
أولا: الصراع المملوكي العثماني في بلاد الشام.	6
ثانيا: معركة مرج دابق1516م والتوسع العثماني في بلاد الشام.	8
ثالثا: السياسة العثمانية في بلاد الشام	11
المبحث الثاني: انعكاسات السياسة العثمانية على الأوضاع في بلاد الشام.	13
أولا: ظهور الحركات الانفصالية وأسبابها.	13
ثانيا: الحركات الانفصالية في بلبنان.	15
1. الأسرة المعنية 1516 – 1636م.	15
2: الأسرة الشهابية 1697 – 1840م.	20
ثالثا: أسرة آل العظم بسوريا 1724 – 1736م.	22
رابعا: أحمد الجزار بفلسطين.	26
الفصل الثاني: حركة ظاهر العمر1733- 1775م إنموذجا.	29-36
المبحث الأول: نبذة تاريخية عن ظاهر العمر. .	30
أولا: التعريف بالشيخ ظاهر العمر.	30
ثانيا: نشأته.	32
المبحث الثاني: توسعات ظاهر العمر.	33
أولا: بداية توسعاته من طبرية.	33
ثانيا: استيلائه على عكا.	34
الفصل الثالث: علاقات ظاهر العمر ونهاية حركته. .	37- 50
المبحث الأول: علاقات ظاهر العمر الداخلية والخارجية.	38
أولا: علاقته مع الدولة العثمانية.	38

ثانيا: علاقته مع علي بك.	39
ثالثا: علاقته مع بعض الدول الأوربية.	44
المبحث الثاني: نهاية وتقييم حركة ظاهر العمر.	45
أولا: نهاية حركة ظاهر العمر.	45
ثانيا: تقييم حركة ظاهر العمر.	48
خاتمة.	51
ملاحق.	54
قائمة المصادر والمراجع	67
فهرس الأعلام.	71
فهرس الأماكن.	75
فهرس الموضوعات.	78